المملكة العربية السعودية
جامعة الملك عبد العزيز
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الدراسات الإسلامية

من أسباب التطرف (الجهل بالدين – سوء الفهم للنصوص الشرعية – اتباع المتشابه منها)

د. عفاف بنت حسن بن محمد مختار
أستاذ مشارك – عقيدة ومذاهب معاصرة

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد فإن الله تعالى قد بعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور, ويهديهم بإذنه إلى صراط مستقيم، وقد قام صلى الله عليه وسلم برسالة ربه أتم قيام، وبلغها إلى الناس أحسن تبليغ، ونصح لأمته أبلغ نصيحة، ولم يمت حتى أكمل الله تعالى له الدين كما قال الله تعالى (... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ...) [المائدة : ٣]، وحتى ترك أمته على المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك، كما قال صلى الله عليه وسلم : (تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك)[١].

وسار على ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم خير القرون، وهم الصحابة رضي الله عنهم, والتابعون لهم بإحسان , يوصى به الأول الآخر، ويقتدي فيه اللاحق بالسابق، وهم في ذلك كله بنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم مقتدون ، وعلى منهاجه سالكون، لم يؤثر عنهم أي خلاف في شيء من أمور العقيدة، بل كانوا جميعا على منهج واحد، وسبيل واضح، هو ما تركهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم شاء الله تعالى أن تظهر الأهواء والبدع ومنها الغلو والتطرف، فأصبح الغلو حقيقة واقعة تتجلى في الحاضر، ويخطط لها في المستقبل، فعشرات الأجهزة سرية وعلنية، حكومية وأهلية تجمع صفوفها وتحشد قواها ضد الإسلام والمسلمين، فلذا فإن مقاومة الغلو والتطرف ليست ترفا فكريا، أو محاربة أوهام وخيالات، بل شرط لأمننا واستقرارنا، فبقاؤنا مرتبط ليس بقدرتنا على التناسل، بل على المقاومة والفعل وإثبات الذات، وتقرير المصير، وإذا كان للغلو مؤامرات وتهديدات، فإن لمقاومته مبررات وتأكيدات يحسن الوقوف عندها، ولعل هذه المبررات يمكن بلورتها في النقاط الآتية:-

١. هذا الدين لا صلاح لنا إلا بنهجه ولا بقاء لنا إلا بهديه , من هنا لم تكن عفوية أن كثيرا من القوى تآلبت علينا تبغي لديننا استئصالا ولرايتنا انتكاسا فعلى قدر شرف الرسالة تكون شراسة الهجوم.
٢. العداء الأبدي القديم بين الشر والخير: وهذا العداء قديم قدم البشر، تجلى في صور مختلفة، وبأشكال متباينة ومنها الغلو والتطرف.
٣. شراسة الهجوم: ذلك أن الغلو أصبح يملك مجموعة متشابكة يظهر بعضها ويختفي الآخر، وبطبيعة الحال هذه المخططات تدير دفته أجهزة معقدة تُنفق عليه الملايين وتُحشد له الخبرات والكفاءات فلذا لا بد من الوقوف أمام هذا التيار.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٦/١) برقم (٤٣) المقدمة، والإمام أحمد في مسنده (١٢٦/٤) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٣/١-١٤) برقم (٤١)

٤. تنوع جوانب الهجوم: لم يقتصر الغلو على جانب من حياتنا بل شمل الاقتصاد، والأرض، والسياسة، والتعليم، والإعلام، واللغة، والتقاليد، باختصار شمل العقل والنقل، الدين والدنيا. وإذا كانت هذه هي طبيعة الهجوم، فينبغي أيضا أن تكون طبيعة الدفاع لحماية الماضي والحاضر وتحصين المستقبل في غاية الأهمية.

٥. تعدد أشكال الهجوم: فإذا كان الهجوم لم يقتصر على جانب واحد، فإنه أيضا لم ينحصر في شكل واحد: فتارة يأتي من الخارج وتارة من الداخل، تارة يهجم بأساليب مباشرة، وتارة يتسلل بأساليب خفية، تارة يتحلق علينا من أعلى، وتارة يتسرب إلينا من أسفل، تارة يتصدره رجال دين، وتارة يقوده سياسيون دهاء ، تارة بالتهجم على ديننا، وتارة باصطناع مذاهب ونسبتها إلى الإسلام لتدميره من الداخل، عشرات الأشكال، وعديد من الألوان تتحرك على جهات مختلفة وبمستويات متنوعة من خلالها تتوطد السيطرة، وتتعمق محاولة إذابة الشخصية الإسلامية.

وإذا كان الغلو بهذه الشراسة والتعدد، فلا بد أيضا أن تكون مقاومتنا بنفس الدرجة والعمق وبذات الأهمية والضرورة.

لهذا كله وزيادة توجب على الباحثين الكتابة والبحث والتنقيب في هذا الموضوع تجلية وإظهارا له وبيان خطورة الغلاة والمتطرفين ومن هنا كان موضوع الجهل بالدين وسوء الفهم للنصوص الشرعية واتباع المتشابه منها من أسباب التطرف والغلو، والكتابة فيه من هذا الواجب.

أسباب اختيار البحث:–

١. لما كان للغلاة والمتطرفين انتشار واسع مع انتساب جماعة منهم لأهل السنة والجماعة , تحتم على الباحثين دراسة منهجهم في هذا الباب تجلية للحق وإظهارا له.
٢. إظهار مزايا أهل السنة والجماعة وخصائصهم السنية.
٣. بيان خطورة مذهب الغلاة والمتطرفين.
٤. اختلاط منهج الحق بالباطل لدى الغلاة والمتطرفين.
٥. وقوع الانحراف عند كثير من الناس في باب الاعتقاد وتأثرهم بالمناهج المتشددة.
٦. إيضاح سيطرة الآراء البشرية على منهج الغلاة والمتطرفين.
٧. إن دراسة أصول الغلو ومنابع الزيغ , أقطع لهذه المشكلة والقضاء عليها.

أهداف البحث:

١. إبراز منهج أهل السنة والجماعة الثابت.
٢. توضيح تلون الغلاة والمتطرفين في الأصول.

منهج البحث:

اتبعت في إعداد هذا البحث المنهج الآتي:–

١. أنقل الأقوال من مصادرها، فقول أهل السنة أنقله من كتب أهل السنة وقول أهل البدع من كتبهم، إلا إذا تعذر الأمر علي فقد أنقل ممن قرر في المسألة التي أنا بصددها مقتدية بالسلف الصالح، يقول شيخ الإسلام بن تيمية يرحمه الله :(وأقوال الخوارج إنا عرفناها من نقل الناس عنهم، لم تقف لهم على كتاب مصنف)[٢].
٢. الاعتماد على أقوال شيخ الإسلام يرحمه الله لكونه من أبرز علماء السنة الذين شرحوا المسائل العقدية، وكان منهجه منهجا متكاملا لا يقبل الأخذ بشق وترك الشق الآخر، فهو فكر يقوم على أساس العقيدة الصافية الغنية، وهذه حقيقة السلف الصالح.
٣. قد استشهد بنفس النص لأكثر من مرة وذلك لضرورة البحث.
٤. قد أذكر شيئا من كلام أهل البدع للاستشهاد به، ولا يدل ذلك على موافقتهم في جميع ما يقولون، ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به.
٥. إذا كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بتخريجه منهما، إذ المقصود معرفة صحته، وأكثر أحاديث البحث منهما، أما إذا كان في غيرهما فقد أذكر أكثر من مصدر.
٦. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها.
٧. تذييل البحث بفهرس.

خطوات البحث:

تقع الخطة في مقدمة وفصل واحد وخاتمة وفهرس.

أما المقدمة ففيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهداف البحث ومنهجه.

الفصل الأول: الجهل بالدين وسوء الفهم للنصوص الشرعية واتباع المتشابه منها من الأسباب المهمة للتطرف: وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: الجهل بالدين من أسباب التطرف وفيه ثمانية مطالب:-

- المطلب الأول: الجهل بمذهب السلف.
- المطلب الثاني: الجهل بالوحي وبالعقل السليم.
- المطلب الثالث: ضعف العلم وقلة التفقه في الدين.
- المطلب الرابع: الجهل بدلالات النصوص ووجوه الاستدلال.
- المطلب الخامس : تهافت الجهال والهمج والرعاع والدهماء في تلقي العلم من غير أهله.
- المطلب السادس: ضعف اللسان العربي.
- المطلب السابع: الإعراض عن السنن والحسنات.

---

(٢) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية (٣٧/١).

◆ المطلب الثامن: اتخاذ الرؤساء الجهال.

المبحث الثاني : سوء الفهم للنصوص الشرعية وفيه ومطلبان:

◆ المطلب الأول: الاعتماد على الرأي.

◆ المطلب الثاني: التأويل.

المبحث الثالث: اتباع المتشابه من النصوص.

الفصل الأول: الجهل بالدين وسوء الفهم للنصوص الشرعية واتباع المتشابه منها من الأسباب المهمة للتطرف وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الجهل بالدين من أسباب التطرف وفيه ثمانية مطالب:-

إن الجهل بالدين من أهم أسباب الغواية والضلال لأنه يحول بين صاحبه وبين الحق، ومن أخطر أنواع الجهل التي تؤدي إلى الغلو والتطرف ما يأتي:-

المطلب الأول: الجهل بمذهب السلف:-

إن الغلاة يفضلون أرائهم على أراء السلف الصالح[٣] فيجمعون بين الجهل بطريقة السلف والكذب عليهم، وبين الجهل والضلالة بتصويب الخلف، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله : (وقد رأيت من أتباع أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم من يقول أقوالهم ويكفر من خالفها، وتكون الأقوال المخالفة هي أقوال أئمتهم بعينها، كما أنهم كثيراً ما ينكرون أقوالا ويكفرون من يقولها، وتكون منصوصة عن النبي صلى الله عليه وسلم لكثرة ما وقع من الاشتباه والاضطراب في هذا الباب)[٤]، ويقول أيضاً : (أما القول المأثور عن السلف والأئمة الذي يجمع القول الصحيح من كل قول فلا يعرفونه ولا يعرفون قائله)[٥] فالغلاة يختلفون عن أهل السنة والجماعة الذين يعتمدون على كتاب الله وكلامه ووحيه ويجعلونه مصدراً أساسياً وأولياً في استمداد المعتقد وللاستدلال عليه، فلا ترد مسألة في العقيدة ولا غيرها ولها دليل من القرآن الكريم إلا ويوردونه أولاً ويقدمونه على غيره مبتدئين به، تعظيما لكتاب الله وتعويلاً عليه بالدرجة الأولى واعتماداً عليه لا على أنفسهم، كما قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً) [الأحزاب: ٣٦]، ومما ساعدهم على ذلك أن الله تعالى يسر كلامه للفهم، فليس في لفظه ومعناه أي تعقيد لفظي أو معنوي يجعل عبارته غير مفهومه، ولا تراكيبه غير معروفه، ولم يأت بما لا تقبله العقول المستقيمة والأفكار المستنيرة، فلا خلل في أساليبه، ولا غرابة في تعابيره بحيث ينفر منها صاحب الذوق السليم، ومن هنا كان معرفة مقاصده مقدورة لكل البشر لا يختص أحد دون أحد بإدراك معانيه، بل لكل أحد حظ من فهمه وإدراكه، فليس في ألفاظه شيء من

(٣) انظر الصواعق المرسلة لابن القيم (١/ ٦٤ -٦٥)، شفاء العليل لابن القيم (٤/١).

(٤) درء التعارض لابن تيمية (٢/ ٣٠٨ - ٣٠٩) ، النبوات لابن تيمية (٤ -١٣).

(٥) المصدر السابق(٣٠٨ -٣٠٩)، الإيمان لابن تيمية (١١٤).

الأحاجي والألغاز، ولا شيء من قوالب علم الكلام حتى تحتاج إلى فك مصطلحاتها ومعرفة طرق نظم أقيستها، وبذلك يظهر زعم وكذب أهل البدع وقولهم بالتعارض بين الأدلة النقلية والعقلية[٦]، فلذا فإن أهل السنة والجماعة أهتموا بهذا المصدر فأسسوا علوماً خاصة به، كعلم التفسير ، وعلم القرآن، وعلم التوحيد، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم الأشباه والنظائر القرآنية، وعلم غرائب القرآن الكريم، وصنفوا أموراً وأصولاً وقواعد عامة تعصم الذهن من الخطأ في فهم كتاب الله تعالى، فمن تمسك بمنهج السلف الصالح فقد فاز حيث إنهم كانوا على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسبيلهم هو سبيل المؤمنين وآثارهم هي السنة والطريق المستقيم، يقول الأوزاعي يرحمه الله : (وعليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم)[٧]

فلذا فإن المتأمل في مذهب السلف أهل السنة والجماعة يجد أنهم أهل الحق، لأنهم أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذا يقول شيخ الإسلام يرحمه الله مفرقا بين السلف وأهل البدع بقوله : (وإذا تأمل اللبيب الفاضل هذه الأمور تبين له أن مذهب السلف والأئمة في غاية الاستقامة والسداد، والصحة والإطراد، وأنه مقتضى المعقول الصريح والمنقول الصحيح،وأنه من خالفه كان مع تناقض قول المختلف الذي يؤفك عنه من أفك، خارجا عن موجب العقل والسمع مخالفا للفطرة والسمع)[٨] ولذا فإن الغلاة ليسوا على شيء لا من جهة الاستدلال ولا من جهة ما استدلوا به، فهم ليسوا أهل فهم عن الله عز وجل، ولهذا يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون وما كانوا عليه في العمل به، فهو أحرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل[٩]، وكما وقع السابقون من أهل البدع في الانحراف بسبب جهلهم بمذهب السلف الصالح وإعراضهم عنه وقع اللاحقون من أهل البدع ومنهم الغلاة الذين كفروا المسلمين بالمعصية، ومع أن من الأصول المقررة المشتهرة عند السلف، عدم تكفير مرتكب الكبيرة مالم يستحلها، يقول النووي يرحمه الله : (اعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر أحداً من أهل القبلة بذنب،ولا يكفر أهل الأهواء والبدع، وأن من جحد ما يُعلم من دين الإسلام ضرورة حكُم بردته وكفره، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه وممن يخفى عليه فيعرّف ذلك، فإن استمر حكم بكفره، وكذا حكم من استحل الزنى أو الخمر أو القتل أو غير ذلك من المحرمات التي يعلم تحريمها ضرورة)[١٠] ومع ذلك نجد في الوقت الحاضر من يكفر المسلمين الذين يقومون بالمعاصي فيعتقدون أن كلمة عاصي، هي من أسماء الكفر، وتساوي كلمة كافر تماماً، ويرجعون ذلك إلى قضية الأسماء فيزعمون أنه ليس في دين الله أن يُسمى المرء في آن واحد مسلماً وكافراً، فلذلك يعتقدون أن جماعتهم هي الجماعة الوحيدة الملتزمة بمنهج الحق فهى الجماعة التي يجب اتباعها فيقولون : (إذا كنا الجماعة المسلمة وإذا اتفق على أننا الجماعة المسلمة المعنية في آخر الزمان، والتي ما أن تظهر حتى تظل ظاهرة لا يضرها من خالفها حتى يقاتل آخرها الدجال أو حتى تقوم الساعة)[١١] ويقولون

---

(٦) انظر المدخل لدراسة العقيدة للبريكان (١٨) .

(٧) رواه الآجري في الشريعة (٥٨) ، والذهبي في تاريخ الإسلام (١٤١، ١٦٠).

(٨) الفتاوى لابن تيمية (٥/٢١٢).

(٩) انظر الموافقات للشاطبي (٣/٧٢).

(١٠) شرح النووي على صحيح مسلم (١/١٥٠).

(١١) التوسمات لشكري مصطفى (٣٨).

أيضا : (إن الولاء لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم لا يتمثل من الناحية العملية بداهة إلا في الدخول في ولائها (أي جماعتهم) وأن الله تعالى أنما أوجب ترك موالاة جماعات الكفر للوقوع في ولائهم وولاء حزبهم وأنه كما يقولون: ولاءان وتجمعان ونظامان الكفر والإسلام وليس لأحد أن يقع إلا في أحدهما)(١٢).

إن الغلاة والمغرضين في الوقت الحالي قد غلوا في حق الله وحق رسوله صلى الله عليه وسلم وفي حق ولاة الأمر بل في حق الأمة بأكملها، فأما غلوهم في حق الله تعالى فيتمثل في تضييع أحكامه سبحانه وتعالى، وعدم تحكيم الأحكام الشرعية، فأعطوا لأنفسهم حقا في التكفير والتفسيق والرمي بالبدع والتضليل فأطلقوا على الأشخاص الأسماء والأحكام مع أنها حق من حقوق الله تعالى، فشطوا في ذلك بأن جعلوا المسلم كافراً مُخلداً في النار لا يخرج منها أبداً، وأما غلوهم في حق الرسول عليه الصلاة والسلام فعن طريق الأحاديث التي أوجبت طاعة ولي الأمر وعدم الخروج عليه وهم قد قاموا بخلافها، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (أسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة)(١٣) وقال: (من مات وليس في عنقه بيعه مات ميته جاهلية)(١٤) وهم بخروجهم على الإمام يخلعونه من البيعة فيلزمهم الموت على الجاهلية، وأمر عليه الصلاة والسلام بطاعة الأئمة وعدم الخروج عليهم إلا في حالة واحدة فقال: (إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان)(١٥) ، ومن أين للغلاة والمتطرفين الأدلة والبراهين على كفر ولاة الأمر، ولكن مع ذلك يصر بعضهم على تكفيرهم والخروج عليهم، وأما غلوهم في حق ولي الأمر: فقد خالفوا الإمام وخرجوا عليه وكفروه وحاربوه وأدخلوا الناس في ويلات عديدة، فبعض الغلاة لا يكتفون بتكفير ولي الأمر بل يكفروا الرعية فيعتقدون أن مخالفهم يستحق السيف والقتل فلا يسلم منهم حتى أطفال المسلمين، مع زعمهم تحكيم أوامر الله عز وجل، والصحيح أن الشرع منع قتل الأطفال والنساء سواءً كانوا من المسلمين أم المشركين، إلا أن يكون ذلك في بيات لا يتميز فيه الأطفال والنساء فلا بأس من قتلهم إذا وقع دون عمد وقت الحرب، فبعض الغلاة يقومون بما أخبر به عليه أفضل الصلاة والسلام: (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)(١٦) فهم يكفِّرون بالذنب والسيئة، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار كفر فلذلك يقومون بالعمليات الإرهابية، فهم ينظرون إلى الأمة نظرة احتقار وإزدراء، وأنهم هم أهل الحق والإيمان، وأما غيرهم من الناس والحكام فهم كفرة يستحقون القتل والخروج عليهم، وهذا ما يحصل من بعض الشباب الذين ينتسبون للإسلام قولاً لا عملاً، كجماعة التكفير والهجرة وهي تمثل اتجاهاً عاماً يمكن أن يتلخص تحت عنوان الغلو في التكفير، وهولاء يُعرفون بعدد من الأسماء منها: جماعةالتكفير والهجرة ، وجماعة الكهف، وجماعة التكفير، وجماعة الهجرة، ويختلفون مع بعضهم البعض في

---

(١٢) الخلافة لشكري مصطفى (٢٨/٣).

(١٣) مسلم كتاب الإمارة – باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (٢٢٨/١٢).

(١٤) مسلم كتاب الإمارة – باب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (٢٣٨/١٣).

(١٥) البخاري كتاب الفتن – باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (سترون من بعدي أموراً تنكرونها) (٤٧/٩) – ومسلم كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (٢٢٨/١٢).

(١٦) مسلم كتاب الزكاة – باب إعطاء المؤلفة قلوبهم (١٦٢/٧).

أسباب التكفير وموجباته، فمنهم من يكفر مرتكب الكبيرة على نحو ما كان عليه الخوارج، ومنهم من يقول : بتكفير المصر عليها، ومنهم من يقول: إن جماهير الناس الذين ينتسبون إلى الإسلام ليسوا مسلمين، وعلى حد زعمهم يصبح العالم الإسلامي كله كافراً[١٧] فكل هذه الأمور حصلت بسبب جهل هؤلاء الغلاة والمتطرفين بمذهب السلف الصالح.

المطلب الثاني: الجهل بالوحي والعقل السليم:-

من أسباب ضلال الغلاة والمتطرفين جهلهم بالمنقول (الوحي) وكثير من المعقول (العقل السليم) فأما الجهل بالوحي فإن الغالي لم يفهم مضمونه وما دل عليه، بل فهم منه خلاف الحق الذي دل عليه وأريد منه، ثم عارض ما دل عليه بالرأي والمعقول، والصحيح أن المعقول لا يصلح لمعارضة الوحي فهو الحق الذي ليس بعده إلا الضلال[١٨] ، والغلاة وقعوا في هذا الضلال لأنهم جعلوا العقل وحده هو الحكم فيما لا يمكن إدراكه مع فصله عن الكتاب والسنة فحصل الشك والضلال والانحراف لأصحابه عن المنهج القويم، يقول ابن القيم يرحمه الله تعالى : (إن هذه الشبهة لا تقوم إلا بعد ارتكاب أربعة أمور هي: لبس الحق بالباطل، كتمان الحق، والتكذيب به، والتصديق بالباطل فإن معارضة الوحي بالعقل هو منهج إبليس، عليه لعنة الله، وهو منهج اتباعه من بعده... فهم أبوا أن يتبعوا كتاب الله ويقلدوا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، ورضوا بأن يقلدوا الصابئة والمشركين والفلاسفة والملحدين)[١٩]، لذا فإن المصادر الأصلية عند أهل السنة والجماعة هي الكتاب والسنة والإجماع المبني عليهما، أما العقل فدليله ليس بقطعي عندهم، بل لا يستقل أبداً به، وهذا ما صوره شيخ الإسلام يرحمه الله بقوله : (والعقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال، فبه يكمل العلم والعمل لكنه ليس مستقلا بذلك، لكنه غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن إدراكها، وإن عُزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أموراً حيوانية وقد يكون فيها محبة ووِجد وذوق كما يحصل للبهيمة، فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأحوال المخالفة للعقل باطلة، والرسل جاءت بما يعجز العقل عن إدراكها، ولم تأت بما يعلم العقل امتناعه، لكن المسرفون فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها لحجج عقلية بزعمهم اعتقدوها حقاً وهي باطل، وعارضوا بها النبوات وما جاءت به، والمعرضون عنه صدقوا بأشياء باطلة ودخلوا في أحوال وأعمال فاسدة وخرجوا عن التمييز الذي فضل الله به بني آدم عن غيرهم)[٢٠] فالحق الأبلج وجوب الرجوع إلى كلام الله تعالى وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام عند التنازع والاختلاف فما وافقهما كان حقا وما خالفهما كان باطلاً، يقول ابن حزم يرحمه الله : (فلم يسع مسلم يقر بالتوحيد أن يرجع عند التنازع إلى غير القرآن والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أن يأبى عما وجد فيهما، فإن فعل ذلك بعد قيام الحجة عليه فهو

(١٧) انظر ظاهرة الغلو في التكفير للقرضاوي (٢٠ -٥٥)، ظاهرة التكفير لعبد الفتاح شاهين (٨ -١٠).

(١٨) انظر الصواعق المرسلة لابن القيم (١٢٠/٤).

(١٩) المصدر السابق (٨٨/١ – ٩٩).

(٢٠) الفتاوى لابن تيمية (٣٣٨/٣ – ٣٣٩).

فاسق وأما من فعله مستحلاً للخروج عن أمرهما وموجباً لطاعة أحد دونهما فهو كافر)[٢١] ويقول ابن أبي العز الحنفي يرحمه الله : (فالواجب كمال التسليم للرسول صلى الله عليه وسلم والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن يعارضه بخيال باطل يسميه معقولاً، أو يحِّمله شبهة أو شكاً، أو يُقدم عليه أراء الرجال وزبالة أذهانهم فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان)[٢٢]. ويقول ابن القيم يرحمه الله : (وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع والهوى على العقل)[٢٣] والغلاة يفعلون ذلك.

لذا فإن أهل السنة والجماعة الذين توسطوا في موقفهم من العقل فأعطوه ما أعطاه الله إياه من الثناء على أرباب العقول والحث على النظر والتفكر والاعتبار واستخدام العقل وذم التقليد دون دليل مع محاربة الشعوذة والخرافة، حيث علق الشارع التكليف بالعقل، وجاءت الشريعة الإسلامية وجعلته من الضروريات الخمس التي جاء الدين بحفظها فلم يجعلوه الإله المعبود، ولم ينقصوه حقه، فهم وسط في فرق الأمة الإسلامية بين طرفين في قضية العقل، الطرف الأول: المتكلمون أتباع المنطق اليوناني عمدتهم تحكيم العقل ابتداءً وانتهاءً في جميع المسائل العقدية بمعزل عن النقل، فغلا هؤلاء في العقل وقدموه على النقل وجعلوا النقل تابعاً لا متبوعاً، فما وافق أصولهم وعقولهم من النصوص قبلوه، وما خالف عقولهم ردوه أو حرفوه، الطرف الثاني: الخرافيون وهم أهل التجهيل المفوضة، الذين يحجبون العقل عن المعرفة تماماً، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله : (هؤلاء ينكرون العقليات في هذا الباب بالكلية فلا يجعلون عند الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته في باب معرفة الله لا علوماً عقلية ولا سمعية،وهم قد شاركوا الملاحدة في هذه من وجوه متعددة)[٢٤] فهم قد ألغوا عقولهم واستهوتهم الشياطين بالوساوس والإيحاءات الباطلة فاعتمدوا عليها، ونحوا الشرع والعقل جانباً.

إن الغلاة والمتطرفين يخوضون في المسائل العقدية التي لا مجال للعقل فيها وبذلك يضلون عن الطريق الصحيح، فيصبحون بين محرف لها أو منكر لها، والسبب هو جعل العقل وحده هو الحكم فيما لا يمكن إدراكه مع فصله عن الكتاب والسنة فيحصل الشك والضلال والانحراف لأصحابه عن المنهج القويم ويتبع ذلك التكذيب بمسائل عظيمة من أمور العقيدة، فتقديمهم العقل جعلهم يشعرون بالتعارض والتناقض بين النقل والعقل، وبفعلهم هذا وقعوا في الضلال بدلاً من الهدى، وفي الظلام بدلاً من النور، والشك بدلاً من اليقين، والتكذيب بدلاً من التصديق لأنهم كانوا من الأساس يقدمون الهوى على النصوص النقلية، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله : (ومن كان له خبرة بحقيقة هذا الباب تبين له أن جميع المقدمات العقلية التي ترجع إليها براهين المعارضين للنصوص النبوية إنما ترجع إلى تقليد منهم لأسلافهم، لا ما يعلم بضرورة العقل، ولا إلى نظره، فهم يعارضون ما قامت الأدلة العقلية على أنه لا يجب تصديقه، بل قد علم جواز الخطأ عليه وعلم وقوع الخطأ منه فيما دون الإلهيات فضلاً

(٢١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٩٩٨).

(٢٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢٢٨/١).

(٢٣) إغاثة اللهفان لابن القيم (١٦٧/٢).

(٢٤) الفتاوى لابن تيمية (٣٨/٥).

عن الإلهيات التي يتعين خطأ من خالف الرسل بالأدلة المجمله المفصلة ..... وهكذا أيضا عامة مايحتجون به من الأدلة العقلية إذا وصلت معهم إلى آخر كلامهم وما يجيبون به معارضاً لهم، وجدت كلامهم في ذلك يدل على نقيض قولهم، وإن ما يذكرونه من المناظرات العقلية هو على قول أهل الإثبات أدل منه على قولهم)[٢٥]، ومن أمثلة تقديم العقل والهوى على النقل ما نراه الآن من بعض الغلاة والمتطرفين من تكفير الخارج عن جماعتهم فيقدمون العقل والرأي ثم يستدلون بالنصوص النقليةكقول الله تعالى : (وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) [آل عمران: ١٠٥: ١٠٦] وكقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)[٢٦] وقال أيضاً : (ومن فارق الجماعة شبراً فمات مات ميتة جاهلية)[٢٧] فيزعمون أن كل من لم يبايع أميرهم أو فارقهم فهو كافر، حيث يزعمون أنه لا يجوز تعدد الجماعات المسلمة بل يجب أن تكون جماعة واحدة وهي جماعة المسلمين (أي جماعتهم) والخروج عن هذه الجماعة يُعد كفراً [٢٨] وبذلك يقولون : بجاهلية المجتمعات المسلمة، مع أن دار الإسلام لا تتحول إلى دار كفر بمجرد ظهور أحكام الكفر فيها، أو بمجرد استيلاء الكفار عليها ما دام سكانها المسلمون يدافعون عن دينهم، بل ماداموا يقيمون بعض الشعائر خصوصاً الصلاة، فعن أنس رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان فإن سمع أذاناً وإلا أغار)[٢٩] وعليه فإنه إذا لم يسمع الأذان في بلد، ولم توجد المساجد فهذا دليل على أن الدار دار كفر، وإذا سمع الأذان ووجدت المساجد حتى غدت مظهراً من مظاهر الدار فالدار دار إسلام، ولكن بعض الغلاة والمتطرفين يجهلون الوحي ويجهلون العقل ومن هنا تظهر سلامة موقف أهل السنة والجماعة من العقل واستخدامه حيث يمكن أن يستقل بمعرفة قضايا العقيدة على وجه الإجمال، لا على وجه التفصيل، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله : (فتبين بذلك أن العقل ليس أصلاً لثبوت التشريع في نفسه ولا معطياً له صفة لم تكن له، ولا مفيداً له صفة كمال إذ العلم مطابق للمعلوم المستغني عن العلم تابع له ليس مؤثرا فيه)[٣٠] .

المطلب الثالث: ضعف العلم وقلة التفقه في الدين :-

---

(٢٥) ابن تيمية السلفي لمحمد خليل هراس (٥١ -٥٤)

(٢٦) سبق تخريجه ص (٦).

(٢٧) البخاري كتاب الفتن – باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (سترون من بعدي أموراً تنكرونها) (٤٧/٩)، ومسلم كتاب الإمارة – باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (١٤٧٧/١٢).

(٢٨) انظر ذكرياتي مع جماعة المسلمين لعبد الرحمن أبو الخير (٩٣ — ٩٥).

(٢٩) مسلم كتاب الصلاة – باب الإمساك عن الغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع منهم الأذان (٢٨٨/١).

(٣٠)درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/ ٨٨ ، ٥/ ٢٤٤) ، ط دار الكنوز ، شرح حديث النزول لابن تيمية (١٤٤).

ومن أسباب الغلو والتطرف ضعف العلم الشرعي وقلة الفقه في الدين[٣١] فالخروج لا يقع من راسخ في العلم، وإنما يقع ممن لم يبلغ مبلغ أهل الشريعة المتبصرين في أدلتها، يقول الشاطبي يرحمه الله : (والشاهد بأن فلاناً راسخ في العلم وفلاناً غير راسخ في غاية الصعوبة، فإن كل من خالف وانحاز إلى فرقة يزعم أنه الراسخ، وغير قاصر النظر، فإن فرض ذلك على ذلك المطلب علامة وقع النزاع، إما في العلامة وإما في مناطها، ومثال ذلك أن علامة الخروج من الجماعة والفرقة المنبه عليها بقول الله تعالى : (وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [آل عمران: ١٠٥]، الفرقة بشهادة الجميع حقيقية وإضافية، فكل طائفة تزعم أنها الجماعة ومن سواها مفارق للجماعة)[٣٢]، فأهل الأهواء عامة في كل حين وزمان ومكان يدَّعون أنهم على الحق ويسمون أنفسهم بأسماء وصفات وألقاب توهم أنهم على الحق وأنهم الناجون، فالخوارج يسمون أنفسهم أهل الحق والمؤمنين وأهل الإسلام وأهل الاستقامة وأهل الدعوة، والمعتزلة يسمون أنفسهم أهل العدل وأهل التوحيد، والصوفية يسمون أنفسهم الأولياء، والمتكلمون يسمون أنفسهم أهل الاستقامة والسنة والنظر[٣٣]، يقول ابن القيم يرحمه الله : (وكل نحلة ومقالة يكسون نحلتهم ومقالتهم أحسن ما يقدرون عليه من الألفاظ ومقالة مخالفهم أقبح ما يقدرون عليه من الألفاظ ومن رزقه الله بصيرة فهو يكشف بها حقيقة ما تحت تلك الألفاظ من الحق والباطل)[٣٤]، فالغلاة يظنون الظن السيء بمن يخالفهم ويعتبرونه مصدرا من مصادرهم الأساسية فيتبعون الظن والهوى ويعرضون عما جاءت به الرسل والشرائع وهذه القاعدة قاعدة كلية لجميع أنواع البدع والمخالفات والضلالات[٣٥] لا يخرج عنها شيء من ذلك، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله :(وأصل الضلال اتباع الظن والهوى كما قال الله تعالى في حق من ذمهم (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى)[النجم: ٢٣] وقال في حق نبيه صلى الله عليه وسلم (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى. وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى) [النجم:١-٤] فنزهه عن الضلال والغواية اللذين هما الجهل والظلم، فالضال هو الذي لا يعلم الحق والغاوي الذي يتبع هواه)[٣٦] والغلاة لا علم لهم ولا تفقه في الدين، وإنما يتبعون الظن والهوى، ولذا حذر الله سبحانه وتعالى من اتباعهم فقال: (وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) [يونس: ٣٦] فالغلاة يعتمدون في العقائد على ما تمليه عليهم عقولهم من القواعد والنظريات وغير ذلك من الأمور المبنية على الظن وجعلها حجة في دين الله وقولاً فصلا محكماً[٣٧] ، ويعرِضون عما أتاهم الله من نصوص الوحيين ويردون ما لا يوافق أهواءهم وبدعهم التي ابتدعوها، مع أن نصوص الشرع واضحة لا التباس فيها ولا ظن، يقول ابن القيم يرحمه الله : (إن الكلام في الدين نوعان: أمر وخبر، فما عارض الأمر كان من باب الهوى الذي يأمر به

---

(٣١) انظر دراسات في الأهواء والفرق للعقل (٣٤٠).

(٣٢) الاعتصام للشاطبي (٢/٢٩٠).

(٣٣) انظر الصواعق المرسلة (٣/ ٣٤٥ – ٣٤٩).

(٣٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/١٤١).

(٣٥) انظر المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب (١/٢٥٧).

(٣٦) الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٣٨٤).

(٣٧) انظر أعلام الموقعين لابن القيم (٢/٣٠٥).

الشيطان والنفس، وما عارض الخبر كان من باب الظن والخرص الذي هو أكذب الحديث، وهؤلاء لا تجدهم إلا وقد جمعوا بين الأمرين، فهم في الإرادات تابعون لأهوائهم، وفي الاعتقادات تابعون لظنونهم، قال الله تعالى : (إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى [النجم: ٢٣])[٣٨].

لذا فإن الغلاة والمتطرفين لا يقعون في الغلو والتطرف إلا بسبب قلة العلم والتفقه في الدين، فالجهل أساس من أسس الانحراف، ولذا أمرنا الله سبحانه وتعالى بطلب العلم، لأن العمل لا يكون إلا بالعلم الشرعي يقول الله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) [النحل: ٤٣] ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[٣٩] يقول النووي يرحمه الله : (وفيه فضيلة العلم، والتفقه في الدين والحث عليه وسببه أنه قائد إلى تقوى الله)[٤٠] ولذا كان أكثر الناس خشية لله تعالى هم العلماء، يقول الله تعالى : (... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) [فاطر: ٢٨] ويقول شيخ الإسلام يرحمه الله : (ولهذا يحتاج المتدين المتورع إلى علم كثير بالكتاب والسنة والفقه في الدين وإلا فقد يُفسد تورعه الفاسد أكثر مما يصلحه، كما فعله الكفار وأهل البدع من الخوارج والروافض وغيرهم)[٤١] فالعلماء يفرقون بين الأوامر والنواهي وبين الواجب الموسع والواجب المضيق، والواجب العيني والواجب الكفائي، ويفرقون بين درجة الوجوب إذ من الواجبات: أركان الإسلام التي يقوم الدين عليها، وهي أول الواجبات وأساس فرائض الدين وما عداها يأتي بعدها، بل أركان الإسلام نفسها متفاضلة، فأول واجب وأعظم واجب هو الشهادتان، ثم الصلاة التي هي عمود الدين، ثم تندرج بعد ذلك الواجبات فليس الواجبات كلها في درجة واحدة من الوجوب، ويدركون أن المأمور إذا تركه العبد، فإما أن يكون مؤمناً بوجوبه أو لا يكون، فإن كان مؤمناً بوجوبه، تاركاً لأدائه، فلم يترك الواجب كله، بل أدى بعضه وهو الإيمان به، وترك بعضه وهو العمل به، وكذلك المحرم إذا فعله، فإما أن يكون مؤمناً بتحريمه أو لا يكون، فإن كان مؤمنا بتحريمه فاعلاً له، فقد جمع بين أداء واجب وفعل محرم، فصار له حسنة وسيئة فلذا لا يكفرونه ويعذرونه، أما إذا قام بالمحرم منكراً التحريم، فالموقف يختلف هنا، والعالم الرباني لا يقف فقط عند المأمور والمحرم وإنما يتغلغل في العلم الشرعي فيعلم أن المندوب فيه ما هو المؤكد وهو ما واظب الرسول صلى الله عليه وسلم على فعله وأكد عليه تأكيداً بليغاً وذلك مثل السنن الرواتب، وسنة الفجر وصلاة الوتر، ومنه ما كان مندوباً مستحباً وليس مؤكداً حيث شرعه الرسول عليه الصلاة والسلام لأمته ولكنه لم يعزم عليهم فيه ولم يؤكده كتأكيد القسم الأول وذلك مثل صوم يوم الإثنين والخميس، ويعلم أيضاً أن المستحبات تتنوع باعتبار المكلفين، فإن كل شخص إنما يستحب له من الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى ما يقدر عليه، ويفعله وينتفع به فليس كل الناس سواء في التقرب إلى الله تعالى بالمندوب، ويعلم أيضاً أن المنهي عنه على

---

(٣٨) المصدر السابق (٣٠٥/٢ – ٣٠٦).

(٣٩) البخاري كتاب العلم – باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين (٦/١)، ومسلم كتاب الزكاة – باب النهي عن المسألة (٧١٨/١ – ٧١٩).

(٤٠) شرح صحيح مسلم للنووي (١٢٨/٧).

(٤١) الفتاوى لابن تيمية (١٤١/٢٠ – ١٤٢).

مرتبتين أيضاً، فالله عز وجل إما أن ينهى عن الفعل على سبيل الحتم والإلزام فذلك الحرام، وإما أن ينهى عن الفعل لا على سبيل الحتم والإلزام فذلك المكروه، فالحرام درجات في ذاته بإعتبارات عدة منها درجة التحريم، فإن أعظم المحرمات الشرك بالله تعالى، والشرك والكفر متفاوت المراتب، فهو على نوعين: كفر اعتقادي وكفر عملي ويعبر عنهما بالكفر الأصغر والكفر الأكبر، أو الشرك الأصغر والشرك الأكبر، أو غير ذلك من التعبيرات، فالكفر الاعتقادي هو الموجب للخلود في النار، والكفر العملي هو الموجب لاستحاق الوعيد دون الخلود في النار، وهو يتناول جميع المعاصي، لأنها من خصال الكفر وشعبه، وخصوصاً ما سمي من المعاصي في النصوص كفراً مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)[٤٢] فإن الكفر هنا ليس مراداً به الكفر المخرج عن الملة بدليل قول الله تعالى: (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ...) [الحجرات:٩] فسماهم مؤمنيين مع كونهم متقاتلين، فالعالم الرباني لا يقف عند ذلك بل يدرك أن بعد الكفر تأتي المحرمات التي قسمها العلماء إلى كبائر وصغائر مستدلين بقول الله تعالى : (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ...) [النجم:٣٢] وبقول ابن القيم يرحمه الله :(والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر بنص القرآن والسنة وإجماع السلف)[٤٣] فلذا فإن ضعف العلم وقلة التفقه في الدين يؤدي إلى أن المتطرف يكفر الآخرين دون أي إحتراز لعدم علمه وفقهه بتلك المراتب المتعددة، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله: (فتفطن لحقيقة الدين، وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية والمفاسد، بحيث تعرف ما ينبغي من مراتب المعروف ومراتب المنكر حتى تقدم أهمها عند المزاحمه، فإن هذا حقيقة العمل بما جاءت به الرسل، فإن التمييز بين جنس المعروف وجنس المنكر، وجنس الدليل وغير الدليل متيسر كثيراً، فأما مراتب المنكر ومراتب الدليل، بحيث تقدم عند التزاحم أعرف المعروفين فتدعو إليه وتنكر أنكر المنكرين، وترجح أقوى الدليلين فإن خاصة العلماء بهذا الدين)[٤٤].

المطلب الرابع: الجهل بدلالات النصوص ووجوه الاستدلال:-

ومن أسباب الغلو والتطرف الجهل بدلالات النصوص، ووجوه الاستدلال، يقول ابن عباس رضي الله عنهما : (إنما أُنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيما أنزل، وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرءون القرآن ولا يدرون فيما أنزل فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان كذلك اختلفوا ...فإذا اختلفوا اقتتلوا)[٤٥]، ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يرى الحرورية شرار خلق الله، لأنهم انطلقوا إلى آيات أُنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين كقول الله تعالى : (... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [المائدة: ٤٤] فيقرنون معها (... ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ) [الأنعام: ١] فإذا رأوا الإمام يحكم بغير

(٤٢) البخاري كتاب الأدب - باب ما نهى من السباب واللعن (٨٤/٧)، ومسلم كتاب الإيمان - باب بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم (سباب المسلم فسوق) (٨١/١).

(٤٣) مدارج السالكين لابن القيم (٣١٥/١)

(٤٤) اقتضاء الصراط المستقيم لا تيمية (٦٢٢/٢).

(٤٥) الشاطبي في الاعتصام (١٨٣/٢).

الحق قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه، ومن عدل بربه فقد أشرك فهذه الأمة مشركون فيخرجون فيقتلون، فالجهل بدلالة النصوص ومقاصدها من أهم أسباب الغلو والتطرف، فالخوارج خرجوا من الدين كما يخرج السهم من الصيد المرمي، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفهم بأنهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم فلا يتفقهون به ولا يصل إلى قلوبهم لأن الفهم راجع إلى القلب، فإذا لم يصل إلى القلب لم يحصل فيه فهم، فالغلاة يستدلون بالدليل في غير ما يدل عليه، ويبترون الأدلة حسبما يوافق هواهم، ويأخذون بالدليل ويتجاهلون ما يعارضه أو ما يخصصه أو يبينه أو يقيده، يقول الشاطبي يرحمه الله : (ومنها تحريف الأدلة عن مواضعها بأن يرد الدليل على مناط فيصرف عن ذلك المناط إلى أمر آخر موهماً بأن المناطين واحد، وهو من خفيات تحريف الكلم عن مواضعه والعياذ بالله، ويغلب على الظن أنه من أقر بالإسلام، ويذم تحريف الكلم عن مواضعه لا يلجأ إليه صراحاً إلا مع اشتباه يعرض له، وجهل يصده عن الحق، مع هوى يعميه عن أخذ الدليل مأخذه، فيكون بذلك السبب مبتدعا، وبيان ذلك أن الدليل الشرعي إذا اقتضى أمرا في الجملة مما يتعلق بالعبادات – مثلا – فأتى به المكلف في الجملة أيضاً كذكر الله والدعاء والنوافل والمستحبات وما أشبهها مما يعلم من الشارع فيها التوسعة، كان الدليل عاضداً لعلمه من جهتين: من جهة معناه، ومن جهة عمل السلف الصالح به، فإن أتى المكلف في ذلك الأمر بكيفية مخصوصة أو زمان مخصوص أو مكان مخصوص، أو مقارناً لعبادة مخصوصة، والتزم ذلك بحيث صار متخيلا أن الكيفية أو الزمان أو المكان مقصوداً شرعاً من غير أن يدل الدليل عليه، كان الدليل بمعزل عن ذلك المعنى المستدل عليه)(٤٦).

إن الغلاة والمتطرفين يجهلون دلالات النصوص ووجوه الاستدلال مع أن الدين الإسلامي وضح وفسر الأمور لمن تدبرها وتفكر فيها لذا يقول الله تعالى : (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً) [النساء: ٨٢] فلا يستطيع الغالى أو المتطرف الوصول إلى العلم بدلالات النصوص إلا بالتدبر والتفكر في آيات الكتاب العزيز والسنة المطهرة ولذا صُدرت هذه الآية الكريمة بالحض على التدبر، والتدبر إذا وقع صدَّق القرآن بعضه بعضاً في فهم القارىء كما هو مصدَّق بعضه بعضاً في واقع الأمر، أما إذا أعرض الإنسان عن التفكر والتدبر ولم يأخذ بالقرآن كله وضرب الأدلة بعضها ببعض اختلفت عليه فكان ذلك سبباً في انحرافه عن الحق، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله : (ومن أسباب ذلك أن يسمع بعض الناس بعض موارده ولا يسمع بعضه، ويكون ما سمعه مقيداً بقيد أوجبه اختصاصه بمعنى، فيظن معناه في سائر موارده كذلك، فمن اتبع علمه حتى عرف مواقع الاستعمال عامة، وعلم مآخذ الشبه أعطى كل ذي حق حقه، وعلم أن خير الكلام كلام الله، وأنه لا بيان أتم من بيانه، وأن ما أجمع عليه المسلمون من دينهم الذي يحتاجون إليه أضعاف ما تنازعوا فيه)(٤٧) فبعض الغلاة لا يجمعون بين الأدلة ويقتصرون على بعضها ويضربون القرآن بعضه ببعض ومن ذلك أنهم يعتمدون على النصوص التي تدعو إلى الخروج على الحاكم الظالم دون أن يجمعوا بينها وبين النصوص التي تمنع الخروج مطلقاً، فالجهل بدلالات النصوص ووجوه الاستدلال أوقع الكثير في البدع فلو اكتفى العبد بنصوص الوعيد دون الوعد أو الوعد دون الوعيد

---

(٤٦) الاعتصام للشاطبي (٢٤٩/١).

(٤٧) الفتاوى لابن تيمية (٣٥٦/٧ – ٣٥٧).

لوقع في الضلال المبين ومثال ذلك : (... وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً) [الجن: ٢٣] وفي قوله تعالى: (بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [البقرة: ٨١] وأيضاً في قول الله تعالى : (... وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً) [الأحزاب: ٧١] وأيضاً (تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [النساء: ١٣] فالنصوص الأولى نصوص الوعيد، والأخرى نصوص الوعد، وقد صار فهم هذه النصوص سبباً لانحراف طائفتين (الخوارج والمرجئة)، فالخوارج أخذوا بعموم آيات الوعيد وقالوا: المعصية الواحدة كافية للخلود في النار، والمرجئة أخذوا نصوص الوعد وقالوا: الإيمان هو التصديق ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ولا بد من اجتماع المعاصي كلها للحكم بالخلود في النار، وهذا ما وقع مع بعض الغلاة والمتطرفين فيقولون: إن لفظة الكفر ما جاءت في الشريعة إلا لتدل على عكس الإيمان وانتفائه وهي تعبر عن حكم عام يشتمل على عدة أنواع منه لكل نوع منها اسم علم خاص به كالفسق والظلم والخبث فحينما يقول الله تعالى: (... وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) [الحجرات: ٧] فإن جميع الثلاثة كفر من حيث الحكم العام مختلفين من حيث أسماء الأعلام، ومداخل الكفر تماماً كما يقول الله تعالى : (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ ...) [الأحزاب: ٣٥] هي كلها أسماء أعلام مختلفة تدل على حكم واحد ومعنى واحد وهم المؤمنون [هكذا] ولكن اختلف اسم العلم باختلاف مدخل الإيمان والغالب على الإنسان[٤٨]، ويقولون: إن كلمة عاصي هي اسم من أسماء الكفر وتساوي كلمة كافر تماماً، ومرجع ذلك إلى قضية الأسماء، إنه ليس في دين الله أن يسمى المرء في آن واحد مسلماً وكافراً، ويستدلون على ذلك بجملة أدلة منها عمومات الوعيد التي ذُكرت بعضها آنفاً من مثل قول الله تعالى : (وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً)[الجن: ٢٣] وهذه النصوص عامة في الوعيد فلو أخذنا بموجب فهمهم أن كل معصية داخلة تحت هذه الآية لقلنا : إن كل طاعة داخلة في قوله الله سبحانه وتعالى: (تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [النساء : ١٣]، وبهذا المنهج يتعارض القرآن الكريم وينقض بعضه بعضاً، والحق جمع هذه النصوص وفهمها بمجموعها، فبعض الغلاة أرادوا أن يصدقوا بالوعيد دون الوعد، أما أهل السنة والجماعة فيؤمنون بالوعد والوعيد، فكما أن ما توعد الله به العبد من العقاب قد بين سبحانه أنه بشروط: بأن لا يتوب، فإن تاب تاب الله عليه، وبأن لا يكون له حسنات تمحو ذنوبه فإن الحسنات يذهبن السيئات، وبأن لا يشاء الله أن يغفر له يقول الله تعالى : (إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً) [النساء : ٤٨] فهذا الوعد له تفسير وبيان فمن قال بلسانه: لا إله إلا الله، وكذّب الرسول عليه الصلاة والسلام فهو كافر باتفاق المسلمين وكذلك إن جحد شيئاً مما جاء في الكتاب والسنة، فلا بد من الإيمان بكل ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم إن كان من أهل الكبائر فأمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، فإن ارتد عن الإسلام ومات مرتداً

(٤٨) انظر الحكم بغير ما أنزل الله لزين العابدين (١٦١).

كان في النار، فالسيئات تكفرها الحسنات والتوبة، والحسنات تحبطها الردة، ومن كانت له حسنات وسيئات فإن الله تعالى لا يظلمه، بل من يفعل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، والله تعالى قد يتفضل عليه ويحسن إليه بمغفرته ورحمته(٤٩).

المطلب الخامس: تهافت الجهال والهمج والرعاع والدهماء في تلقي العلم من غير أهله:-

إن من أكثر أسباب الغلو والتطرف تهافت الجهال والهمج والرعاع والدهماء إلى القراءة مع عدم الفهم في الدين لعدم طلبه من أهله، وهذه السمة بدأت مبكرة في تاريخ ظهور الأهواء فلو تأملنا نشأة الفرق الأولى كالخوارج والشيعة لوجدنا أن طائفة كبيرة منهم كانوا من قراء البصرة الذين لم يتتلمذوا على العلماء والمجتهدين، يقول البربهاري يرحمه الله : (واعلم أنه لم تجيء زندقة قط إلا من الهمج والرعاع وأتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، فمن كان هكذا فلا دين له)(٥٠) فالرعاع والدهماء يأخذون النصوص ولا يدركون معانيها بل يعتمدون على التخمين والظن من غير تبصر بالنصوص وتفهم لها لاستنباط الأحكام منها فيقتاتون على الشريعة بأقوال بدعية يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (إنا نقتدي ولا نبتدي ونتبع ولا نبتدع ولن نضل ما تمسكنا بالأثر)(٥١)، فالغلاة يتخرصون على الكلام في القرآن والسنة، وهم لا يفقهون النصوص ولا يفقهون مناهج الاستدلال وآثار السلف فينسبون آراءهم إلى دين الله وشرعه ويخالفون الراسخين في العلم فيقولون: رأي الإسلام كذا والقول الحق كذا من غير علم ولا بصيرة، وقد ابتلى المسلمون بأعداد كبيرة من هذا الصنف، فالغلاة منهجهم التعلق بظواهر النصوص حينما توافق أهواءهم دون ردها إلى النصوص الأخرى، ودون مراعاة لقواعد الاستدلال عند أهل العلم كاستدلال الخوارج بقول الله تعالى : (... إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ...) [الأنعام: ٥٧] على تكفير حكم الرجال، وكاستدلال الجهمية بقول الله تعالى: (لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [الأنعام:١٠٣] ، على نفي الرؤية، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله : (فكانوا متمسكين بظاهر من القول، لا بظاهر القول وعمدتهم عدم العلم بالنصوص التي فيها علم بما قيد، وإلا فكل ما بينه القرآن وأظهره فهو حق، بخلاف ما يظهر للإنسان لمعنى آخر غير نفس القرآن يسمي ظاهر القران، كاستدلالات أهل البدع)(٥٢)، فالغلاة يعتمدون على أصولهم الفاسدة في تقرير الدين أولاً ثم يلتمسون من الأدلة الشرعية ما يوافق هواهم على غير نهج سليم. يقول شيخ الإسلام يرحمه الله : (والألفاظ نوعان نوع يوجد في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ونوع لا يوجد في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فيعرف معنى الأول ويجعل ذلك المعنى هو الأصل، ويعرف ما يعنيه الناس بالثاني ويرد إلى الأول، هذا طريق أهل الهدى والسنة، وطريق أهل الضلال والبدع بالعكس، يجعلون الألفاظ التي أحدثوها

---

(٤٩) انظر الفتاوى لابن تيمية (٢٧٠/٨ – ٢٧١).

(٥٠) شرح السنة للبربهاري (٤٤).

(٥١) اللالكائي في شرح أصول أهل السنة (٨٦/١).

(٥٢) الفتاوى لابن تيمية (٣٩٢/٧).

ومعانيها هي الأصل، ويجعلون ما قاله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم تبعا لها فيردونها)[٥٣] ويقول أيضا : (والمقصود هنا أن السلف كان اعتصامهم بالقرآن والإيمان، فلما حدث في الأمة ما حدث من التفرق والاختلاف صار أهل التفرق شيعاً، صار عمدتهم في الباطن ليس على القرآن والإيمان، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم، عليها يعتمدون في التوحيد والصفات والقدر والإيمان بالرسول وغير ذلك، ثم ما ظنوا أنه يوافقها من القرآن احتجوا به، وما خالفها تأولوه، فلهذا تجدهم إذا احتجوا بالقرآن، والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتها ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى، إذ كان اعتمادهم في نفس الأمر على غير ذلك، والآيات التي تخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن، ليس مقصوده أن يفهم مراد الرسول، بل أن يدفع منازعه عن الاحتجاج بها)[٥٤]، فالغلاة من الرعاع والهمج يجعلون لهم أصولا ثم يعرضونها على القرآن والحديث فإن وافقهما احتجوا بهما اعتضاداً لا اعتماداً وإن خالفهما ضربوا بهما عرض الحائط، فيجعلون أقوالهم البدعية محكمة يجب اتباعها واعتقاد موجبها، والمخالف إما كافر أو جاهل لا يعرف هذا الباب وليس له علم ولا معرفة، لذا فإن من أعظم أسباب الغلو والتطرف الاستغناء في أخذ العلم عن القدوة العلماء وقلة مجالستهم أو هجرهم يقول اللالكائي يرحمه الله : (كان جهم على معبر ترمذ، وكان كوفي الأصل فصيح اللسان، ولم يكن له علم ولا مجالسة لأهل العلم)[٥٥]، وكذلك الغلاة لا يتلقون العلم على أئمة الهدى وإنما على بعضهم، أو لا يتفقهون أصلاً إلا على أصولهم الفاسدة. وبناء على هذه الأصول يفسرون النصوص النقلية حتى تلائم ما يعتقدون به، حتى وصل الحال ببعض الغلاة بتحريم العلوم البشرية وتحريم أخذ العلم بالوسائل المتجددة كالجامعات والكليات ومن أقوالهم : (إن جماعة الحق في آخر الزمان خير أمة سوف تخرج للناس مرة ثانية سمتها أنها أمة أمّية لأنها تدخل في قول النبي عليه الصلاة والسلام (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر كهذا وهكذا يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين)[٥٦] وتدخل في قول الله تعالى : (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الجمعة: ٣] ويقولون : (من كان يظن أن تكاليف بناء المدينة الحديثة لا تتعارض مع تكاليف العبادة، وأنه يمكن لعلماء الغرب وبُناة المدنية أن يكونوا عباداً لله في نفس الوقت من كان يظن ذلك فليشهد على نفسه أولاً بقلة الحياء، وصفاقة الوجه، ثم يفعل بعد ذلك ما شاء) فهؤلاء الرعاع لا يقتصر تحريمهم للدراسة على كليات الطب والهندسة واللغات الأجنبية، وإنما يشمل الجامعات، والمعاهد الإسلامية التي لا تدرس غير العلوم الإسلامية، لأنها من مؤسسات الطاغوت وتدخل ضمن إطار مسجد الضرار، فأساتذتها منافقون على الإطلاق بل ومرتدون لأنهم لا يؤمنون بأن هناك كفراً يخرج عن الملة، أما العلم الشرعي فلا يكون إلا في الأماكن التابعة لهم و لايصح تقرير منهج غير المنهج الذي وضع أصوله وفروعه قائد جماعتهم، ومع جهلهم وقلة علمهم فإنهم يستدلون ببعض الأدلة النقلية كقول الله تعالى:(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [الجمعة: ٢] فيزعمون أن هذه الأمة الأمية ليست أمية

---

(٥٣) المصدر السابق (٣٥٥/١٧).

(٥٤) المصدر السابق (٥٨/١٣ – ٥٩).

(٥٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣٨١/٣ – ٣٨٢).

(٥٦) البخاري كتاب الصيام – باب صوم رمضان لرؤية الهلال (٧٥٩/٢).

فحسب، من بعث فيهم رسول الله عليه الصلاة والسلام في أول الأمر ولكن (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الجمعة: ٣] وهم التابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين يسيرون على الدرب وكقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر ....) فيقولون : (إن الرسول عليه الصلاة والسلام يقصد بالأمة الأمية عموم هذه الأمة وغالبيتها، ولا مانع من وجود قراء وكُتاب ولكن بقدر الضرورة)، مع أن النصوص القرآنية الدائرة حول أمية الأمة الإسلامية يُراد بها معنيان: عدم القراءة والكتابة ومن ذلك وصف الله لبعض أهل الكتاب بأنهم أميون : (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ) [البقرة: ٧٨] يقول ابن جرير يرحمه الله: (يعني بالأميين الذين لا يكتبون ولا يقرؤون)[٥٧] والمعني الثاني: الأمة التي لم ينزل عليها كتاب منزل من عند الله ومنه قول الله تعالى: (...وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ...) [آل عمران: ٢٠] وقوله سبحانه وتعالى: (...هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ...)[الجمعة: ٢]، يقول الطبري يرحمه الله: (والأميين الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب)[٥٨] وبذلك يتضح أن العرب قبل نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام قد اجتمع فيهم الوصفان، فهم أميون لأنهم ليسوا بأهل كتاب، وهم أميون لأنهم في الجملة لا يقرؤون ولا يكتبون، ولما بُعث فيهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام لم يبقوا أميين باعتبار أنهم لا يقرؤن كتاباً أُنزل إليهم بل صاروا أهل كتاب وعلم، وصاروا أعلم الخلق، وأفضلهم في العلوم النافعة، وأن الأمية بمعنى عدم القراءة والكتابة مذمومة ولذلك قال الله تعالى: (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ) [البقرة: ٧٨]، وأما أمية النبي عليه الصلاة والسلام فهي ممدوحة لأنه أنما صُرف عن علم القراءة والكتابة ليكون ذلك أثبت لمعجزته وأقوى في حجته[٥٩] يقول الله تعالى: (وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) [العنكبوت: ٤٨] ، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله : (فإن أُموته لم تكن من جهة فقد العلم والقراءة عن ظهر قلب، فإنه إمام الأئمة في هذا وإنما كان من جهة أنه لا يكتب ولا يقرأ مكتوباً، كما قال الله فيه: (وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) [العنكبوت: ٤٨]، وأما سائر أكابر الصحابة كالخلفاء الأربعة وغيرهم فالغالب على كبارهم الكتابة لاحتياجهم إليها إذ لم يؤت أحد منهم من الوحي ما أوتيه؛صارت أموته المختصه به كمالاً في حقه من جهة الغنى بما هو أفضل منها وأكمل، ونقصاً في حق غيره من جهة فقده الفضائل التي لا تتم إلا بالكتابة)[٦٠]، أما الآيات التي وردت في الأمية فالمراد بها الخبر لا الطلب، فلم يأت فيها طلب البقاء على وصف الأمية، وأما قولهم: (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ...) ليس فيه دلالة على فضل الأمية، لأن المقصود بالأميين في الآية العرب الذين لم يُبعث فيهم نبي قبل محمد عليه الصلاة والسلام ولم ينزل إليهم كتاب، وأما الاستدلال بقوله تعالى: (وآخرين ..) لا يصح لأنه لا يجوز أن يكون في قوله: (وآخرين..) عطفاً على (الأميين) أي غير العرب، فهو إما معطوف علي الضمير في عليهم من قوله (يتلو عليهم) أي

---

(٥٧) جامع البيان لابن جرير (٣٧٣/١).

(٥٨) المصدر السابق (٢١٤/١٣).

(٥٩) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢١/٢٠).

(٦٠) الفتاوى لابن تيمية (١٧٢/٢٥).

ويتلو علي أخرين، وإما أن يجعل (وآخرين) مفعول معه والتقدير: يتلو على الأميين آياتنا ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة مع آخرين، وأما قوله عليه الصلاة والسلام : (نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب)[٦١] ليس فيه دلالة على تحريم العلم بل هو خبر، فالأمة أمية قبل الشريعة، أما بعدها فإنهم لم يؤمروا بأن يبقوا على هذه الأمية مطلقاً، وأما قوله عليه الصلاة والسلام: (لا نكتب ولا نحسب) هو في خصوص الكتابة والحساب لمعرفة أوائل الشهور حيث تستخدم الكتابة والحساب لمعرفة أوائل الشهور وقد كان بعض الناس يكتب سير الشمس والقمر بحروف أبجد هوز ونحوها ويحسب كم مضى من سيرها ومتى يلتقيان، ولذا فقد كان من الصحابة رضي الله عنهم من يكتب ويحسب، الكتابة والحساب المعروفان، فالمراد بالحديث أنه أخبر الأمة التي أتبعته وهي الأمة الوسط أنها أمة لا تكتب ولا تحسب للشمس والقمر، بل هي تعرف أوائل الشهور بالرؤية فهذا مدح وكمال لاذم لها. فالغلاة يقعون في هذه الأخطاء الجسيمة التي تدفعهم إلى القتل والتخريب وذلك بسبب وجود الجهلة والرعاع بينهم.

المطلب السادس: ضعف اللسان العربي:-

إن من أسباب الغلو والتطرف ضعف اللسان العربي وقلة العلم فالجهل باللغة العربية يؤدي إلى الجهل بألفاظ الشرع وأحكامه وإلى الفهم الخاطئ للنصوص[٦٢]، يقول الشاطبي يرحمه الله : (ومنها تخرصهم على الكلام في القرآن والسنة العربيين ... فيفتاتون على الشريعة بما فهموا ويدينون به ويخالفون الراسخين في العلم وإنما دخلوا في ذلك من جهة تحسين الظن بأنفسهم واعتقادهم أنهم من أهل الاجتهاد والاستنباط وليسوا كذلك ... وعن النظام أنه كان يقول: (إذا آلى المرء بغير اسم الله لم يكن موليا لأن الإيلاء مشتق من اسم الله)، وقال بعضهم في قول الله تعالى: (...وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى...) [طه: ١٢١] لكثرة أكله من الشجرة يذهبون إلى قول العرب غوى الفصيل إذا أكثر من اللبن حتى بشم...واستدل بعضهم على تحليل شحم الخنزير بقول الله تعالى: (..ولحم الخنزير..) فاقتصر على تحريم اللحم دون غيره فدل على أنه حلال، وربما سلم بعض العلماء ما قالوا وزعم أن الشحم إنما حُرم بالإجماع، والأمر أيسر من ذلك، فإن اللحم يطلق على الشحم وغيره حقيقة حتى إذا خص بالذكر مثل شحم كما يقال: عرق وعصب، وجلد، ولو كان الأمر على ما قالوا لزم أن لا يكون العرق والعصب ولا الجلد ولا المخ ولا النخاع و لا غير ذلك مما خص بالاسم محرماً وهو خروج عن القول بتحريم الخنزير، ويمكن أن يكون من خفي هذا الباب مذهب الخوارج في زعمهم: أن لا تحكيم استدلالاً بقوله تعالى: (... إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ ...) فإنه مبني على أن اللفظ ورد بصيغة العموم فلا يلحقه تخصيص، فلذلك أعرضوا عن قول الله تعالى: (... فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا ...) وقوله: (...يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ..) وإلا فلو علموا تحقيقاً قاعدة العرب في أن العموم لم يرد به الخصوص لم يسرعوا إلى الإنكار ولقالوا في أنفسهم: هل هذا العام مخصوص؟ فيتأولون، وفي الموضع وجه آخر مذكور في

(٦١) سبق تخريجه ص (١٦).

(٦٢) انظر صون المنطق للسيوطي (٢٢ -٢٣).

موضع غير هذا، وكثير ما يوقع الجهل بكلام العرب في مجاز لا يرضى بها عاقل، أعاذنا الله من الجهل والعمل به بفضله)[٦٣]، فالغلاة يتميزون بالجهل وعدم التمييز بين قواعد الاستدلال فلا يفرقون بين المحكم والمتشابه، والعام والخاص، والناسخ والمسوخ، والنفي والإثبات، فلذا يجعلون عقولهم القاصرة هي الفارق بين هذه الأمور. يقول أبو محمد اليمني واصفاً أهل البدع وطريقتهم في الاستدلال بالنصوص: (ووهموا على أهل السنة والجماعة من أقاويلهم الفاسدة وتأويلاتهم الباردة تلبيساً منهم على حائر فكر ضعيف لب ليتبعهم، حتى استغروا كثيرا ممن جهل أمرهم، وشككوا عليهم دينهم، بما القوا إليهم من مشكل القرآن على غير إشكاله ومتشابه على ظاهره، وظاهره على متشابه، وضربوا عليهم القرآن بعضه ببعض، واحتجوا بالمنسوخ على أنه محكم وبالناسخ على أنه منسوخ، وبالعام على أنه خاص، والخاص على أنه عام، وبآخر الآية دون أولها، وبأولها دون آخرها، ومعنى آية على آية غيرها، وبغيرها على معناها بجوابها، وتركوا سببها وتسببها، وتركوا جوابها ولم ينظروا لا ما يفتح القرآن ولا ما يختمه، ولا ما يورده ولا ما يصدره، وادعوا في متشابه ما ادعاه المؤمنون في محكمه، وفي محكمه ما ادعوه في متشابه يحرفون الكلم عن مواضعه، ونسوا حظاً مما ذكروا به، وقربوا إليهم ما بُعد، وبعدوا عليهم ما قرب، وقبحوا لهم ما حسن، وحسنوا لهم ما قبح، وحرموا عليهم ما أبيح، وأباحوا لهم ما حرم عليهم، واخترعوا لهم في ذلك الأدلة الفاسدة والقياسات الباردة (وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ) [المائدة:٧٧][٦٤]، فالغلاة ليس لديهم علم باللغة العربية فلذا يقعون في أخطاء عظيمة مع اعتقادهم بأنهم على يقين.

فالغلاة يجهلون اللغة العربية التي أنزل الله تعالى القرآن بها لأنها أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات[٦٥] ولهذا أصبحت هذه اللغة المباركة من الدين وصار تعلمها، والتكلم بها جزءاً من شعائر الإسلام، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله: (إن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ثم منها ما هو واجب على الأعيان ومنها ما هو واجب على الكفاية)[٦٦] وبحسب قدرة المرء على فهم اللغة يكون فهمه للشريعة فإنها إذا كانت عربية فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة، يقول الشاطبي يرحمه الله: (فإذا فرضنا مبتدئاً في فهم العربية فهو مبتدىء في فهم الشريعة، أو متوسطاً فهو متوسط في فهم الشريعة، والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية، فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة، فكان فهمه فيها حجة كما كان فهم الصحابة وغيرهم من العظماء الذين فهموا القرآن حجة، فمن لم يبلغ شأوهم فقد نقص عن فهم الشريعة بمقدار التقصير عنهم، وكل من قصر فهمه لم يعد حجة ولا كان قوله فيها مقبولاً)[٦٧] فبعض الغلاة لا يدركون أن العرب تخاطب بالعام ويراد به ظاهره، وبالعام ويراد به العام في وجه والخاص في وجه، وبالعام ويُراد

---

(٦٣) الاعتصام للشاطبي (٢٣٧/١ — ٢٣٨).

(٦٤) عقائد الثلاث والسبعين فرقة لليمني (١/ ٤ — ٥).

(٦٥) انظر تفسير القرآن الكريم لابن كثير (٦/٤).

(٦٦) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٤٧١/١).

(٦٧) الموافقات للشاطبي (٦٤/٢).

به الخاص، فلذا فإن كل معنى مستنبط من القرآن الكريم غير جار على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء لا مما يستفاد منه ولا مما لا يستفاد به، ومن ادَّعى فيه ذلك فهو في دعواه مبطل[٦٨] إذاً فالتفسير بالهوى والشهوة إذا كان غير موافق للغة ولم يشهد له شاهد من النصوص النقلية، أو كان معارضاً فإن ذلك التفسير باطل، فلذا فإن معظم تفسيرات أهل الغلو باطلة لعدم فهمهم للغة العربية فلذا يقعون في التكفير.

المطلب السابع: الإعراض عن السنن والحسنات:-

إن من أسباب الغلو والتشدد ترك الفضائل والحسنات والقعود عن فعل الخيرات لشبهة عارضة أو فهم خاطئ أو تقصير في اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام، فإذا تأملت الغلاة تجد الأصل عندهم ترك الحسنات لا فعل السيئات، فالوعيدية من الخوارج عظموا أمر المعاصي والنهي عنها واتباع القرآن وتعظيمه فأحسنوا في ذلك، إنما أُتوا من جهة عدم اتباعهم للسنة وإيمانهم بما دلت عليه من الرحمة للمؤمن وإن كان ذا كبيرة، فبالغوا في النهي عن المنكر وقصروا في الأمر بالمعروف[٦٩]. يقول شيخ الإسلام يرحمه الله: (وإذا كان الكفر والفسوق بسبب الشر والعدوان، فقد يذنب الرجل أو الطائفة ويسكت آخرون عن الأمر والنهي، فيكون ذلك من ذنوبهم، وينكر عليهم آخرون إنكاراً منهياً عنه فيكون ذلك من ذنوبهم، فيحصل التفرق والاختلاف وهذا من أعظم الفتن والشرور قديما وحديثاً.... ومن تدبر الفتن الواقعة رأى سببها ذلك، ورأى أن ما وقع بين أمراء الأمة وعلمائها ومن دخل في ذلك ....هذا أصلها)[٧٠] ، فالإخلال بالأمر والنهي وعدم إنصاف المتنازعين بعضهم لبعض، حيث إن كل طائفة تدعي أن الحق معها وحدها دون الآخرين فيقعون في الهوى والتعصب بالباطل فيؤدي ذلك إلى الافتراق والمقاتلة[٧١]، فمعظم الغلاة يعرضون عن الحق والشرع وذكر الله تعالى فيما خالفوا فيه السنة والجماعة، وبعضهم تكاثرت عنده البدع وتجارت به الأهواء حتى ابتلي بالإعراض عن دين الله وذكره وعميت بصيرته بالكلية يقول شيخ الإسلام يرحمه الله: (وأهل البدع....لما أعرضوا عن ذكر الله - الذكر المشروع الذي كان في الفطرة وجاءت به الشريعة الذي يتضمن معرفته ومحبته وتوحيده — نسوا الله من هذا الوجه فأنساهم أنفسهم من هذا الوجه، فنسوا ما كان في أنفسهم من العلم الفطري، والمحبة الفطرية والتوحيد الفطري)[٧٢]. فالمتأمل لحال الغلاة والمتطرفين يدرك أنهم تميزوا واختصوا بأصل من أصول الضلالة والبدعة، وبذلك خالفوا أهل السنة والجماعة وهي الطائفة الوسط المعتدلة أهل الحديث فهم في الجملة: العدول الثقات الصادقون، السائرون على طريق الاستقامة والدين وأهل التوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتبعون المهتدون المقتدون، وهم أهل الحق والصراط المستقيم وهم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، أما الفرق المفارقة لسبيل السنة والجماعة فإنما فارقت في اتباع الهوى والابتداع، والضلال عن الصراط المستقيم وسلكت سبل التهلكة ومن هؤلاء الغلاة المتطرفين الذين

(٦٨) انظر المصدر السابق (٣٩١/٣).

(٦٩) انظر الفتاوى (١١٠/٢٠ — ١١١).

(٧٠) الفتاوى (١٤٢/٢٨ — ١٤٣).

(٧١) انظر الإبانة للعكبري (٤٠٧/١)، الصفدية لابن تيمية (٩٩/١، ٢٩٣).

(٧٢) الفتاوى لابن تيمية(٣٥٠/١٦).

يتسمون بالتشدد والبغي وقتال المسلمين، فأطلقوا عقال الفتنة فهم مختلفون في الكتاب يعني كتاب الله – تعالى – مخالفون للكتاب ومجمعون على مفارقة الكتاب، ويقولون على الله الكذب بغير علم فيلبسون الحق بالباطل.

إن الغلاة عادة يهتمون بإنكار المنكر دون الأمر بالمعروف، والواجب على المؤمن أن يقوم بالأمرين، لذا نجد أن الله تعالى وصف صفوة الخلق بهذا الوصف فقال: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [التوبة: ٧١] وجعل سبحانه وتعالى خيرية هذه الأمة بسبب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال سبحانه وتعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ ...) [آل عمران: ١١٠] فلذا فإن من أسباب التفرق والاختلاف بين الناس ترك الأمر بالمعروف وترك النهي عن المنكر، فعلى المسلم أن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالطريقة التي علمنا إياها الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: (من رأى منكم منكراً فلغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[٧٣]، أما بعض الغلاة قد يكون رد الفعل نحو المعاصي رداً عنيفاً فلا يجدون ردعاً لهذه المعاصي، فيتحركون لإنكارها بالوسائل غير الشرعية، كما أنهم قد يحكمون على المجتمعات حكماً غالياً، كالقول بالجاهلية والكفر والفسوق ونحو ذلك، زاعمين أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أمر بالتغيير عن طريق اليد، مع أن العلماء ينبهون على خطورة أن يقوم بدل المنكر المغير منكر أعظم أو أشد فيقولون عن هذا الحديث: (هذا الحديث أصل في صيغة التغيير، فحق المغير أن يغير بكل وجه أمكنه زواله به قولاً أو فعلاً، فيكسر الآت الباطل، ويريق المسكر بنفسه أو يأمر من يفعله، وينزع الغصوب ويردها إلى أصحابها بنفسه، أو يأمره إذا أمكنه، فإن غلب على ظنه أن تغييره بيده يسبب منكراً أشد منه، من قتله أو قتل غيره بسببه، كف يده، واقتصر على القول باللسان والوعظ والتخويف، فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك غير بقلبه، وكان في سعة، وهذا هو المراد بالحديث)[٧٤]، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله: (وليس لأحد أن يزيل المنكر بما هو أنكر منه مثل أن يقوم واحد من الناس يريد أن يقطع يد السارق ويجلد الشارب ويقيم الحدود، لأنه لو فعل ذلك لأفضى إلى الهرج والفساد، لأن كل واجد يضرب غيره، ويدَّعي أنه استحق ذلك، فهذا ينبغي أن يقتصر فيه على ولي الأمر)[٧٥] ومن تأمل حال الغلاة يجدهم مخالفين لمقاصد الشريعة الإسلامية التي اعتبرت الغلو نفسه منكراً من المنكرات ولذلك جاءت صيغ النهي عنه في القرآن الكريم والسنة النبوية يقول الله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ....) [النساء: ١٧١] ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم)[٧٦] وقال عليه الصلاة والسلام: (هلك المتنطعون) قالها

(٧٣) البخاري كتاب الإيمان – باب في كون النهي عن المنكر من الإيمان (٦٩/١).

(٧٤) شرح صحيح مسلم للنووي (٢٥/٢ – ٢٦).

(٧٥) مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية (٥٧٩).

(٧٦) أبو داود كتاب الأدب – باب في الحسد (٢٠٩/٥ – ٢١٠)، وابن كثير في تفسيره (٣١٦/٤)، والسيوطي في الدر المنثور (١٧٨/٤).

ثالثاً[٧٧] يقول النووي يرحمه الله: (هلك المتنطعون، أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم)[٧٨] ويقول ابن خلدون يرحمه الله:(إن كثيراً من المنتحلين العبادة وسلوك طريق الدين ويذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه والأمر بالمعروف رجاء في الثواب عليه من الله فيكثر أتباعهم والمتشبثون بهم من الغوغاء والدهماء ويعرِّضون أنفسهم في ذلك للمهالك، وأكثرهم يهلكون في تلك السبيل مأزورين غير مأجورين، لأن الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم، وإنما أمر به حيث تكون القدرة عليه)[٧٩] فمعظم الغلاة ينفرون من المعاصي الظاهرة كقتل النفس التي حرم الله والزنا والربا والسحر، ومع ذلك لا يعلمون أن الابتداع والغلو شر المعاصي، فإن الابتداع والغلو عائد بالإفساد إلى معتقد المرء، وما عاد بالإفساد على المعتقد أعظم مما عاد بالإفساد على العمل، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله: (فهذه الذنوب مع صحة التوحيد، خير من فساد التوحيد مع عدم هذه الذنوب)[٨٠] وهذا ما وضحه الرسول عليه الصلاة والسلام: (عندما أقبل رجل غائر العينين ناتئ الجبين، كث اللحية، مشرف الوجنتين، محلوق الرأس، فقال: يا محمد اتق الله فقال النبي عليه الصلاة والسلام : (فمن يطيع الله إذا عصيته فيأمني على أهل الأرض ولا تأمنوني، فلما ولى قال النبي عليه الصلاة والسلام : (إن من ضئضيء هذا قوماً يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد))[٨١] فوضح الرسول صلى الله عليه وسلم أن الرجل كان كث اللحية مرتفع الجبين مملوء الخدين محلوق الرأس وأخبر أنه سيكون الأصل والأساس لفرقة يمرقون من الإسلام بسرعة عظيمة وأنهم يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان ، فواضح من هذا الحديث ذمهم لعدم فهمهم التنزيل ومروقهم من الإسلام، وقتلهم أهل الإسلام – وذلك يتضمن تكفيرهم لعموم أهل الإسلام – ثم وعد إن أدركهم أن يقوم بقتالهم، وأمر بذلك كما في بعض الروايات (أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة)[٨٢] فلذا فإن العصاة إنما أذنبوا بفعل بعض ما نهوا عنه، وأما أهل البدع من الغلاة فأذنبوا بترك ما أمروا به من اتباع السنة وجماعة المؤمنين، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله : (البدع دهليز الكفر والنفاق)[٨٣].

المطلب الثامن: اتخاذ الرؤساء الجهال:–

إن من أعظم أسباب الغلو والتطرف اتخاذ الرؤساء الجهال والأحداث والرجوع إليهم في أمور الدين، وهذ ما وضحه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق

---

(٧٧) مسلم كتاب العلم – باب هلك المتنطعون (٣/٢٠٥٥).

(٧٨) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/٢٢٠).

(٧٩) مقدمة ابن خلدون لابن خلدون (١/٢٨٠ – ٢٨١).

(٨٠) الاستقامة لابن تيمية (١/٤٦٦).

(٨١) البخاري كتاب استتابة المرتدين – باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم (٨/ ٥٢) ، ومسلم كتاب الزكاة – باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١/ ٧٤٠).

(٨٢) مسلم كتاب الزكاة – باب التحريض على قتل الخوارج (١/٧٤٦).

(٨٣) الفتاوى لابن تيمية (٣/٢٣٠).

عالم أتخذ الناس رؤوسا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)[٨٤] ، يقول البربهاري يرحمه الله: (واعلم أن الناس لو وقفوا عند محدثات الأمور ولم يجاوزوها بشيء لم يولدوا كلاماً مما لم يجيء فيه أمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه لم تكن بدعة)[٨٥]، فالغلاة والمتطرفون يتلقون العقائد والعبادات والأحكام من غير الوحي كالاعتماد على الرأي المجرد وتقديم العقل على النص واتباع الهوى وما تشتهيه الأنفس ولو خالفت الكتاب والسنة، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله: (ولهذا نجد المعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم وعقولهم وما تأولوه من اللغة، ولهذا نجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، ولا يعتمدون على السنة ولا على إجماع السلف وآثارهم وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث وآثار السلف وإنما يعتمدون على كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعها رؤوسهم وهذه طريقة الملاحدة أيضاً)[٨٦]، لذا فإن من أعظم الغلو والتطرف الاستغناء في أخذ العلم عن القدوة العلماء وقلة مجالستهم أو هجرهم، يقول اللالكائي يرحمه الله: (كان جهم على معبر ترمذ، وكان كوفي الأصل فصيح اللسان، ولم يكن له علم ولا مجالسة لأهل العلم)[٨٧] وكذلك الغلاة والمتطرفون لا يتلقون العلم على أئمة الهدى وإنما على بعضهم، أو لا يتفقهون أصلاً إلا على أصولهم الفاسدة، فالتلقي الأول للمتعلم والناشيء من الأسرة أو المدرسة أو المسجد يترك أثراً كبيراً في نفسه، فالتعليم في الصغر كالنقش على الحجر، فما يتلقاه الصغير في صغره يصعب تغييره أو تبديله، فلذا لا بد من الحذر من مناهج بعض الدعوات الإسلامية التي تخالف نهج السلف الصالح أو أهل السنة والجماعة في العقيدة أو المناهج، فإنها يتربى عليها الشاب الناشئ فإذا كبُر وأخذ العلم الشرعي وعرف الأدلة طوعها لمفاهيمه وقناعاته التي تربى عليها حيث تربى بمعزل عن العلماء والمشايخ القدوة[٨٨]، ويعتقد أنه على الحق والصواب والرشاد فيظن أنه على هدى فيتمادى في الأعمال التخريبية كما قال الله تعالى: (أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ [محمد:١٤]. يقول الشاطبي يرحمه الله: (فصاحب البدعة لما غلب عليه الهوى مع الجهل بطريقة السنة، توهم أن ما ظهر له بعقله هو الطريق القويم دون غيره فمضى عليه فحاد بسببه عن الطريق المستقيم، فهو ضال من حيث ظن أنه راكب للجادة)[٨٩]، فالغلاة يتلقون العلم من أهل البدع والضلالات فتنتقل العدوى إليهم، فإن معرفة المرء من جليسه، والإنسان مدني بالطبع يتأثر بمن حوله ومهما بلغ الإنسان من الاستقلالية بزعمه والاعتداد بنفسه والثقة بعقيدته فإنه لا بد أن يتأثر بمن يخالطهم، خاصة أهل البدع لأنهم يزينون ما هم عليه ويزينها الشيطان، وقد حذر الإمام أبو حنيفة يرحمه الله من مجالسة أهل الأهواء لأنه قد تأثر نفسه بهم فكان أول أمره يجادل أهل الأهواء حتى صار رأساً في ذلك منظوراً إليه ثم ترك الجدل ورجع إلى

---

(٨٤) البخاري كتاب العلم - باب كيف يقبض العلم (٩٤/١).

(٨٥) شرح السنة للبربهاري (٤٦)، الصفدية لابن تيمية (٢٩٣/١).

(٨٦) الفتاوى لابن تيمية (١١٩/٧).

(٨٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للألكائي (٣٨١/٣ — ٣٨٢).

(٨٨) انظر دراسات في الأهواء والفرق للعقل (٣١٤).

(٨٩) الاعتصام للشاطبي (١٣٤/١).

الفقه والسنة بعد أن جاءته امرأة وسألته عن طلاق السنة فلم يعرف الإجابة فرجع عن الكلام وبدأ يجتهد في الفقه ومسائله(٩٠). وهو القائل: (عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة فإنها بدعة)(٩١)، ويقول أيضاً عن نفسه: (فتركت الكلام واشتغلت بالفقه ورأيت المشتغلين بالكلام ليس سيماهم سيما الصالحين قاسية قلوبهم غليظة أفئدتهم لا يبالون بمخالفة الكتاب والسنة والسلف الصالح ولو كان خيراً لاشتغل به السلف الصالحون)(٩٢)، ويقول الإمام أحمد يرحمه الله: (إذا رأيت الرجل يحب الكلام فاحذروه)(٩٣)، فلذا فإن الغلاة والمتطرفين تجدهم لا يصلون إلى تلك المرحلة من العمليات الإرهابية إلا بعد مجالستهم وسماعهم لأهل الأهواء والبدع فيتشربون منهم الغلو والتشدد ، حيث إن النصوص الشرعية محدودة ومحصورة، والمسائل والفروع كثيرة غير متناهية إذ تتجدد في كل وقت، وتنزل نوازل ليس للناس بها عهد من قبل، والشرع متكامل ينظم جوانب الحياة كلها، فيحتاج إلى إثبات أحكام شرعية لتلك المسائل والنوازل ولا يتم ذلك إلا عن طريق العلماء الربانيين حيث إن النصوص الشرعية ينظر إليها من جهتين: الثبوت والدلالة، فأما نصوص القرآن فهي قطعية الثبوت، ولكن بعض نصوص السنة غير قطعية الثبوت فيحتاج إثبات صحة نص ما إلى علم ومعرفة ودراية في النظر لرجال السند، والنظر في المتن، وبعد ذلك النظر في دلالتها على المراد ليثبت بها حكم من الأحكام، ثم إن نصوص القرآن وإن كانت قطعية الثبوت فإن الحاجة قائمة للنظر في دلالتها – إن لم تكن قطعية – لإثبات الحكم بنص من القرآن، كما أن هناك عوارض تعرض للأدلة، فهناك: التخصيص والتقييد، وهناك تعارض فيما يظهر للناظر – أول وهلة – بين النصوص، ولا بد من ناظر لدفع ذلك التعارض، والجمع بين النصوص، وإظهار الائتلاف فيما بينها فيكون هناك نص مخصص لنص، ونص مقيد لنص، ونص مبين لنص، ونص ناسخ لنص، وهكذا وهذه الأمور تحتاج إلى مؤهلات يملكها العالم الفقيه المجتهد المطلع على النصوص العارف لأساليبها القادر على فهمها.

وبذلك يتضح أن الاجتهاد واستخراج الأحكام لا يكون إلا من العالم المؤهل، يقول الشاطبي يرحمه الله: (الاجتهاد الواقع في الشريعة ضربان: أحدهما الاجتهاد المعتبر شرعا وهو الصادر عن أهله الذين اضطلعوا بمعرفة ما يفتقر إليه الاجتهاد والثاني: غير المعتبر وهو: الصادر عمن ليس بعارف بما يفتقر الاجتهاد إليه، لأن حقيقتة أنه رأي بمجرد التشهي والأغراض وخبط في عماية واتباع للهوى، فكل رأي صادر على هذا الوجه فلا مريه في عدم اعتباره، لأنه ضد الحق الذي أنزله الله كما قال سبحانه وتعالى: (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ .... [المائدة: ٤٩])(٩٤)، فقد يقع الانحراف عن الحق لأسباب منها اتخاذ العلماء الجهال فينتج عن ذلك الضلال والإضلال، يضلون هم بإفتاء الناس بالباطل، وقولهم على الله عز وجل بغير علم، وهذا أمرٌ في غاية الخطورة، إذ القول على الله عز وجل بغير علم قد يؤدي إلى ارتكاب منكرات عظيمة، أو

(٩٠) انظر عقود الجمان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان للصالحي (١٦١).

(٩١) الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (٢٢١).

(٩٢) الإمام الكردي في مناقب أبي حنيفة (١٣٧ – ١٣٨).

(٩٣) العكبري في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٥٣٨/٢ – ٤٥٠).

(٩٤) الموافقات للشاطبي (١٦٧/٤).

ترك واجبات عظيمة ولذلك يقول الله تعالى: (وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً) [الإسراء: ٣٦] ويقول أيضاً: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)[الأعراف: ٣٣]، ويضلون الناس الذين اتبعوهم إذ التزموا قولهم وبنوا على فتواهم فكانت طريقاً لضلالهم ولذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)[٩٥] يقول شيخ الإسلام يرحمه الله: (وإن الاجتهاد: جائز للقادر على الاجتهاد، والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد)[٩٦] فالعالم الحق هو الذي يستنبط الأحكام ويضبط قواعد الحلال من الحرام ويعرف نصوص الوحيين، العامل بعلمه على هدى وبصيرة ولذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر)[٩٧] فهم خلفوا الأنبياء في أممهم بالدعوة إلى الله وإلى طاعته، والنهي عن معاصي الله، والذود عن دينه، حيث أعطاهم الله قوة حفظ وفهم وفقه في دين الله تعالى وبصيرة ففجروا من النصوص أنهار العلوم، وما خصوا بهذه المكانة إلا لأنهم صرفوا هممهم إلى العلم بكلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام وأحواله، وبواطن أموره وظواهرها، فهم أعلم الأمة وأخصها بعلم الرسول عليه الصلاة والسلام، يقول الشاطبي يرحمه الله: (لا يُتَّبعُ أحد من العلماء إلا من حيث هو متوجه نحو الشريعة قائم بحجتها، حاكم بأحكامها جملة وتفصيلاً، وأنه متى وجد متوجهاً غير تلك الوجهة في جزئية من الجزئيات أو فرع من الفروع لم يكن حاكماً، ولا استقام أن يكون مقتدياً به فيما حاد فيه عن صوب الشريعة ألبته)[٩٨]، لذا فقد كان سبب انحراف الخوارج الرئيس اعتدادهم بأهوائهم في مقابل النصوص واعتدادهم بأنفسهم في مقابل أهل العلم، فكان أول خارج ذو الخويصرة، حيث اعترض على النبي عليه الصلاة والسلام فقال له: (اعدل يا رسول الله)[٩٩]. وفي الوقت الحالي نجد بعض الغلاة يُعرضون عن العلماء ويعتدون بذواتهم ويؤكدون أن الناس سواء في القدرة على الاجتهاد والاستنباط، وأن الفقهاء لا يحملون من العلم أكثر مما يحمله الناس الآخرون، وأن الفقيه له فهمه الخاص به، وأنهم ليسوا بحاجة إليه، ثم يتبعون ذلك بالرد على أهل السنة والجماعة بالأدلة التي يزعمون أنها أفضل الأدلة وأحسنها ولم يحصل ذلك إلا بسبب اتخاذهم الجهال من الرؤساء.

---

(٩٥) سبق تخريجة ص (٢٢) .

(٩٦) الفتاوى لابن تيمية (٢٠٣/٢٠).

(٩٧) رواه أحمد في المسند (١٩٦/٥)، وأبو داود في كتاب العلم – باب الحث على طلب العلم (٥٨/٤)، والترمذي في كتاب العلم – باب ما جاء في فضل الفقه (٤٩/٥).

(٩٨) الاعتصام للشاطبي (٨٦٠/٢).

(٩٩) البخاري كتاب استتابة المرتدين – باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم (٥٢/٨)، ومسلم كتاب الزكاة – باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٧٤٠/١).

المبحث الثاني: سوء الفهم للنصوص الشرعية وفيه مطلبان:-

المطلب الأول: الاعتماد على الرأي:-

إن المتطرفين والغلاة تقل بضاعتهم من العلم الشرعي ومنهج السلف الصالح فلا يفهمون النصوص الشرعية فيعتمدون على الرأي، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن أعيتهم السنن أن يحفظوها وتفلتت منهم أن يعوها وسئلوا فقالوا في الدين برأيهم)(١٠٠)، فلذا نجدهم يستدلون بالدليل في غير ما يدل عليه، ويبترون الأدلة حسبما يوافق أهواؤهم ويأخذون بالدليل ويتجاهلون ما يعارضه أو ما يخصصه أو يبينه أو يقيده، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله: (أكثر ما يخطىء الناس من جهة التأويل والقياس، يريد بذلك أن لا يحكم بما يدل عليه العام والمطلق قبل النظر فيما يخصه ويقيده، ولا يعمل بالقياس قبل النظر في دلالة النصوص هل تدفعه، فإن أكثر خطأ الناس تمسكهم بما يظنون من دلالة اللفظ والقياس، فالأمور الظنية لا يعمل بها حتى يبحث عن المعارض بحثاً يطمئن القلب إليه، وإلا أخطأ من لم يفعل ذلك، وهذا هو الواقع في المتمسكين بالظواهر والأقيسة، ولهذا جعل الأقيسة والاحتجاج بالظواهر مع الإعراض عن تفسير النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه طريق أهل البدع)(١٠١)، وهذا ما وضحه أهل البدع أنفسهم، يقول القاضي عبد الجبار: (يجب أن يرتب المحكم والمتشابه جميعاً على أدلة العقول)(١٠٢)، فالغلاة يجعلون أراءهم هي الأصل المعقول المحكم الذي يجب اعتقاده والبناء عليه ثم ينظرون في الكتاب والسنة فما أمكنهم أن يتأولوه على قولهم تأولوه وإلا يقولون: هذه الألفاظ المتشابهة المشكلة، فجعلوا بدعهم المتشابهة أصلاً محكما، وجعلوا المحكم من كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فرعاً متشابهاً مشكلاً (١٠٣)، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله عن مدى اضطرابهم في الاستدلال: (ولهذا يجعل كل فريق المشكل من نصوصه غير ما يجعل الفريق الأخر مشكلاً، فمنكر الصفات الخبرية الذي يقول: إنها لا تعلم بالعقل يقول نصوصها مشكلة متشابهة، بخلاف الصفات المعلومة بالعقل، عنده بعقله، فإنها محكمة مبينه، وكذلك يقول من ينكر العلو والرؤية: نصوص هذه مشكلة، ومنكر الصفات مطلقاً يجعل ما يثبتها مشكلاً دون ما يثبت أسماءه الحسنى، ومنكر معاني الأسماء يجعل نصوصها مشكلة، ومنكر معاد الأبدان وما وصف به الجنة والنار يجعل ذلك مشكلاً أيضاً)(١٠٤)، فالغلاة ضلوا في المنهج والطريق حيث إن المنهج الصحيح الإيمان المطلق بما جاء عن الله ورسوله عليه الصلاة والسلام ، وهذا الإيمان غير موقوف على فهم المعنى وإدراكه، لأن عقول البشر قاصرة عن إدراك جميع المعاني والإحاطة بها، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله : (إن ما أخبر به رسول الله عليه الصلاة والسلام عن ربه فإنه يجب الإيمان به سواء عرفنا معناه أولم نعرف، لأنه الصادق المصدوق في ما جاء في الكتاب

---

(١٠٠) اللالكائي في شرح أصول أهل السنة (١٢٣/١) رقم (٢٠١)، وابن عبد البرفي جامع بيان العلم (١٣٤/٢ — ١٣٥).

(١٠١) الفتاوى لابن تيمية (٣٩٢/٧).

(١٠٢) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار (٧).

(١٠٣) انظر تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية (٣٠٦/١٧ — ٣٠٧).

(١٠٤) درء التعارض لابن تيمية (١٦/١ — ١٧).

والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يفهم معناه)[١٠٥]، فموقف الغلاة يعلوه الإضطراب في القواعد المتفق عليها عند الأمة وليس ذلك بغريب، فإن غرضهم الأصلي هو تقديم الرأي والهوى لإثبات ما يريدونه من الأصول ولذلك فإنهم يقعون في البدع والضلالات حيث إن فهم الكتاب العزيز والسنة المطهرة لا يكون بمجرد الرأي، وبالنظر إلى أحرف الكلمات فحسب بل يحتاج ذلك إلى أمرين: معرفة اللغة التي تكلم بها الشارع، ومعرفة مقصوده، فإن معرفة اللغة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بكلامه وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فإن عامة ضلال أهل البدع كان لهذا السبب فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على ما يدَّعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك[١٠٦] ، وهذا متقرر حتى في فهم كلام الناس أنفسهم، فإنه لا بد من معرفة ما عناه المتكلم إذ دلالة اللفظ على المعنى هي بواسطة دلالته على ما عناه المتكلم، وأراده، وإرادته وعنايته في قلبه، فلا يعرف باللفظ ابتداءً، ولكن يعرف المعنى بغير اللفظ حتى يعلم أولاً أن هذا المعنى المراد هو الذي يراد بذلك اللفظ ويعني به[١٠٧] ، ودلالة اللفظ على المعنى دلالة قصدية إرادية اختيارية؛ فالمتكلم يريد دلالة اللفظ على المعنى، فإذا اعتاد أن يعبر باللفظ عن المعنى كانت تلك لغته، ولهذا كل من كان له عناية بألفاظ الرسول عليه الصلاة والسلام ومراده وعرف عاداته في خطابه، تبين له من مراده ما لا يتبين لغيره[١٠٨]، ومن ضلال بعض الغلاة وتقديمهم الرأي استدلالهم على التكفير بالمعصية بقول الله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ....) [الجاثية: ٢٣] وبقوله تعالى: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) [يس: ٦٠]، فقالوا: إن من اتبع هواه فارتكب معصية فقد أشرك بالله، مع أن المفسرين قالوا: إن المراد بها المشركون الذين يعبدون ما تهواه أنفسهم، يقول الرازي يرحمه الله: (يعني تركوا متابعة الهدى وأقبلوا على متابعة الهوى فكانوا يعبدون الهوى كما يعبد الرجل إلهه)[١٠٩]، أما قول الله عز وجل: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ...) [يس: ٦٠]، فالمراد من لفظ العبادة في الآية التنفير وليس على ظاهره، فطاعته تكون شركاً، إذا أطاعه كالعبد في الاعتقاد يقول أبو بكر بن العربي يرحمه الله: (إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركا إذا أطاعه في اعتقاده الذي هو محل الكفر والإيمان فإذا أطاعه في الفعل وعقده مستمر على التوحيد والتصديق فهو عاص)[١١٠]، فالغلاة عندما قدموا الرأي على النصوص النقلية صاروا من أهل الهوى والمقصود بالهوى شرعاً كل ما خالف الهدى سواءً سُمي عقلاً أو غير ذلك، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله: (ولهذا كل من خرج عن موجب الكتاب والسنة من المنسوبين إلى العلماء والعبَّاد يجعل من أهل الأهواء كما كان السلف يسمونهم أهل الأهواء، وذلك أن كل من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه والعلم بالدين لا يكون إلا بهدي الله الذي بعث به رسوله عليه

(١٠٥) الرسالة التدمرية ضمن الفتاوى لابن تيمية (٤١/٣).

(١٠٦) انظر الفتاوى لابن تيمية (١١٦/٧).

(١٠٧) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٦٥/١).

(١٠٨) انظر الفتاوى لابن تيمية (٣٩٢/٧).

(١٠٩) تفسير الرازي للرازي (٢٦٨/٢٧).

(١١٠) أحكام القرآن لابن العربي (٧٤٣/٢).

الصلاة والسلام)[111]، ويقول ابن عباس رضي الله عنهما :(إنما سُمّي هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار)[112] ومعلوم أن الذي يهوي بأهله إلى النار هو الإعراض عن الحق والهدى الذي جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام فكل حكم خالف حكم الله عز وجل ورسوله عليه الصلاة والسلام فهو من أحكام الهوى لا من أحكام العقل، ومن أحكام الجاهلية لا من حكم العلم والهدى يقول الله تعالى: (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [المائدة: ٤٩- ٥٠] فأخبر سبحانه أنه ليس وراء ما أنزله إلا اتباع الهوى الذي يضل عن سبيله وليس وراء حكمه إلا حكم الجاهلية [113]، ولقد بين الله عز وجل أن أصل ضلال الضالين إنما هو اتباع الهوى والظن والإعراض عن الوحي والعلم، كما قال الله تعالى: (...إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ...) [النجم: ٢٣] وأيضاً قال سبحانه وتعالى: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [القصص: ٥٠] لذا فإن أصل الضلال اتباع الظن والهوى ومن اعتمد على رأيه فقد وقع فيهما كما يقول الله تعالى : (إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى [النجم: ٢٣] وهذا وصف الكفار، فكل من له نصيب من هذا الوصف فله نصيب من متابعة الكفار بقدر ذلك النصيب.

المطلب الثاني: التأويل:-

التأويل أخطر سلاح استعمله المتطرفون والغلاة في تقرير أصولهم، وأهم ما يعتمدون عليه في الاستدلال على معقولاتهم وهو الأسلوب الذي يلجأون إليه في مصادمة النصوص وردها رداً صريحاً، أو رد دلالاتها وأحكامها ومعانيها، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله: (وأما التأويل بالمعنى الثالث وهو صرف اللفظ من الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح فهذا الاصطلاح لم يكن بعد عرف في عهد الصحابة بل ولا التابعين، بل ولا الأئمة الأربعة .... ولكن صار تخصيص لفظ التأويل بهذا شائعاً في عرف كثير من المتأخرين، فظنوا أن التأويل في الآية هذا معناه صاروا يعتقدون أن لمتشابه القرآن معاني تخالف ما تفهم منه، وفرقوا دينهم بعد ذلك وصاروا شيعاً)[114] وهم بهذا الاعتبار يأخذون الأدلة من الكتاب والسنة ويأولونها، وإن لم يقم عندهم دليل يستدلون به، فهو تأويل من قبيل اللعب والتهاون بالنصوص الشرعية، ولهذا أطلق الشيخ محمد الشنقيطي على هذا القسم (إنه يسمى في اصطلاح أهل الأصول لعباً لأنه تلاعب بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من غير دليل ولا مستند، والقاعدة المعروفة عند علماء السلف أنه لا يجوز صرف شيءً من كتاب الله ولا سنة رسوله عن ظاهره المتبادر إلا

---

(١١١) الاستقامة لابن تيمية (٢/٢٢٤ – ٢٢٥).

(١١٢) ابن بطة في الشرح والإبانة (١٢٤ – ١٢٥).

(١١٣) انظر الصواعق المرسلة لابن القيم (٣/١٠٤٦).

(١١٤) الرسالة التدمرية ضمن الفتاوى لابن تيمية (٣/٤١).

بدليل يجب الرجوع إليه)[١١٥] فالغلاة والمتطرفون يستخدمون التأويل مع أنه لا قطع فيه ولا برهان، يقول الغزالي يرحمه الله: (التأويل: عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر)[١١٦]، فالذين يعتمدون على التأويل ويجعلونه أهم مصادرهم يقرون بأنفسهم أنه أمر محتمل غير مقطوع به، بل يغلب عليه الظن والشك، وما هذا إلا من الأدلة على اضطرابهم وعدم استقرارهم، وبذلك يتضح أن التأويل عند الغلاة والمتطرفين هو عين التحريف، وقد يتجرأ بعض الغلاة فيزعمون بأن أهل السنة والجماعة قالوا به، والصحيح أن التأويل عند السلف الصالح بخلافه عند أهل الأهواء والبدع، حيث إن المراد بالتأويل عند أهل السنة والجماعة تفسير الكلام وبيان معناه[١١٧] أو هو نفس المراد بالكلام كما كان يقول ابن جرير يرحمه الله: (وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنه التفسير والمرجع والمصير)[١١٨]، وبذلك يتضح كذب وافتراء من نسب التأويل الباطل إلى الإمام أحمد وقد وضح ذلك شيخ الإسلام أتم الوضوح بقوله يرحمه الله: (فهذه الحكاية كذب على أحمد لم ينقلها أحد عنه باسناد، ولا يعرف أحد من أصحابه نقل ذلك عنه)[١١٩] وقال أيضاً: (إنه نقله عن مجهول لا يعرف، وذلك المجهول أرسله إرسالاً عن أحمد، ولا يتنازع من يعرف أحمد وكلامه أن هذا كذب مفترى عليه)[١٢٠]، فالإمام احمد يرحمه الله قد قال: بالتأويل المعروف عند أهل السنة والجماعة ، وهو تفسير الكلام وبيان معناه، أو هو نفس المراد بالكلام. فالغلاة قد ذمهم الله تعالى لأن التحريف من صفه اليهود ولا شك أن هؤلاء الذين يحرفون الكلام عن معناه فيهم شبه من اليهود كما أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع)[١٢١] وفسرهم بأنهم اليهود والنصارى وفارس والروم، وقد ذم الله – تعالى — هذا الصنف فقال: (مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً) [النساء:٤٦]، كما قال تعالى: (وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) [المائدة: ٤٣]، فالتحريف هو الباب الذي ولجت به جميع فرق الباطل لهدم أصول الإسلام، فالمعطلة الجهمية أنكرت الأسماء والصفات تحت شعار التأويل، والمعتزلة أنكرت الصفات تحت شعار التأويل، وكلهم أنكروا الرؤية وكثيراً من السمعيات بالتأويل، فما قام الغلاة والمتطرفون بالعمليات الإرهابية إلا تحت شعار التأويل ، فالتأويل الباطل هو إلحاد وتحريف، وإن سماه أصحابه تحقيقاً وعرفاناً وتأويلاً، ولذلك كان شيخ الإسلام يرحمه الله يؤكد كثيراً على تسمية التأويل الباطل تحريفاً فيقول: (إني عدلت عن لفظ

---

(١١٥) منهج دراسات لآيات الأسماء للشنقيطي (١٨ -١٩).

(١١٦) المستصفى للغزالي (٣٨٧/١).

(١١٧) انظر الفتاوى لابن تيمية (٢٨٨/١٣ – ٢٨٩).

(١١٨) جامع البيان للطبري (٢٠٤/٦).

(١١٩) نقض التأسيس لابن تيمية (١٠٠/٣)، الفتاوى لابن تيمية (٣٩٨/٥).

(١٢٠) نفس المصادر السابقة.

(١٢١) البخاري كتاب الاعتصام – باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (لتتبعن سنن من كان قبلكم) (٣٠٠/١٣)، ومسلم كتاب العلم – باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٢٠٥٤/٤).

التأويل إلى لفظ التحريف لأن التحريف اسم جاء في القرآن بذمه.... فنفيت ما ذمه الله من التحريف ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفي ولا إثبات لأنه لفظ له عدة معان)[١٢٢]، ولو تدبرنا تأويلات أهل البدع لنصوص الشريعة علمنا أن النتيجة هي الخروج عن هذا الدين: عقائده وشرائعه، وإنه يفتح باب التفرق فما افترقت اليهود والنصارى إلا بسببه، وما افترقت هذه الأمة إلا بسببه، يقول ابن القيم يرحمه الله: (إذا تأمل المتأمل فساد العالم وما وقع فيه من التفرق والاختلاف، وما دُفع إليه أهل الإسلام وجده ناشئاً من جهة التأويلات المختلفة المستعملة في آيات القرآن وأخبار الرسول – صلوات الله وسلامه عليه– التي تعلق بها المختلفون على اختلاف أصنافهم في أصول الدين وفروعه، فإنها أوجبت ما أوجبت من التباين والتحارب وتفريق الكلمة)[١٢٣]، وفي العصر الحديث يتلاعب الغلاة بتأويل النصوص لتكون مقررة لما هم عليه من الباطل، ولبسه على اتباعهم فتكون سبباً لغلوهم فمن ذلك تفسيرهم لقول الله تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) [القصص: ٥٩] فيزعمون أن كلمة في أمها تُدل على المكان الذي تبدأ فيها الجماعة المسلمة وتتحمل فيه المتاعب ولم تكن مكة أم القرى إلا في عهد الدولة الإسلامية فحسب،. والصحيح أن لكل رسول أُماً للقرى فأما القرى في عهد موسى عليه السلام هي مصر ولكن ما هي أم القرى في عهدنا الحالي، عهد قيام الدولة الإسلامية مرة ثانية كما وعد بذلك الله ورسوله عليه الصلاة والسلام أين هي أم القرى الأن في منطقة الشرق الأوسط ؟ أين المكان الذي يُصدر الكفر إلى العالم العربي ؟ أين القرية التي حاربت من نادى بالجهاد في سبيل الله ؟ أين القرية التي تعتبر متجه إلى العالم العربي ؟ هي ببداهة الآن مصر [١٢٤] فهذا تأويل لآية من القرآن الكريم وصرف اللفظ عن معناه المتبادر الظاهر إلى معنى آخر لا يدل عليه السياق، ولا تقتضيه قرينة بل لي لعنق النص حتى يوافق الأهواء.

المبحث الثالث: اتباع المتشابه من النصوص:–

إن الغلاة والمتطرفين يتميزون عادة بالجهل وعدم التمييز بين قواعد الاستدلال، فلا يفرقون بين المحكم والمتشابه، والعام والخاص، والناسخ والمنسوخ، والنفي والإثبات، فلذا يجعلون عقولهم القاصرة بين هذه الأمور فلذا فهم لا يراعون قواعد الاستدلال وأصوله وترتيب الأدلة ونحو ذلك كالنظر في المطلق والمقيد والعام والخاص والمجمل والمفصل وكرد نصوص الوعيد إلى نصوص الوعد، ورد المتشابه إلى المحكم ، والتعارض بين الأدلة ووجوه الجمع ونحو ذلك، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم)[١٢٥]، فكما أن مصادر التلقي عند الغلاة اتباع المتشابه فكذلك بالتتبع يكون من منهجهم في الاستدلال الأخذ بالمتشابه والخوض فيه ولا يردونه إلى المحكم، فهم لا يردون ما تشابه عندهم إلى المحكم، فلذا فإن منهجهم في الاستدلال مركب من أخطاء تراكمت حين جعلوا المحكم متشابهاً، وحكموا عقولهم

---

(١٢٢) الفتاوى (١٦٥/٣).

(١٢٣) الصواعق المرسلة (٣٤٨/١).

(١٢٤) التوسمات لشكري مصطفى (١٩ – ٢٠).

(١٢٥) البخاري في كتاب التفسير – باب فيه آيات محكمات (٢٩/٨).

في الغيب وخاضوا فيما نهى الله عنه، وقاسوا الغائب بالشاهد، ولم يردوا النصوص إلى بعضها لذا حذر الرسول عليه الصلاة والسلام منهم، فهذا تحذير صريح منه صلى الله عليه وسلم فهم الذين قال الله تعالى عنهم: (...فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ ..) [آل عمران: ٣]، يقول الشاطبي يرحمه الله: (من اتباع المتشابهات الأخذ بالمطلقات قبل النظر في مقيداتها، وبالعموميات من غير تأمل هل لها مخصصات أم لا ؟ وكذلك العكس، بأن يكون النص مقيداً فيطلق، أو خاصاً فيهم بالرأي من غير دليل سواه، فإن هذا المسلك رمي في عماية، واتباع للهوى في الدليل، وذلك أن المطلق المنصوص على تقييده مشتبه إذا لم يقيد، فإن قيد صار واضحاً كما أن إطلاق المقيد رأي في ذلك المقيد معارض للنص من غير دليل)[١٢٦] وأما سبب خوضهم في المتشابه لأنهم عوّلوا على عقولهم وعقولهم عاجزة عن إدراك الحقائق الغيبية، فلما حكموا عقولهم قصرت وعجزت فوقفوا عند نهاية مدارك العقول والأوهام والظنون والخيالات وجعلوها عقائد لهم، وكل منهم له مستوى من التفكير والمعقول توهم أنه الحق والغاية، ولم يسلموا للوحي تسليم الإذعان والتصديق المطلق، فوقعوا في اتباع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فأهل الغلو والتطرف يتبعون أهواءهم أولاً ثم يطلبون المتشابه ثانياً، ويخوضون فيه ليجعلوه دليلاً شاهداً على عقائدهم الفاسدة، فالغلاة والمتطرفون يقولون: إن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال إلا ما هو الحق في نفس الأمر، وإن الحق في نفس الأمر هو ما علمناه بعقولنا، ثم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات التي يحتاجون فيها إلى إخراج اللغات عن طريقتها المعروفة، وإلى الاستعانه بغرائب الاستعارات، يقول بشر المريسي وهو رأس من رؤوس أهل البدع: (إذا احتجوا عليكم بالقرآن فغالطوهم بالتأويل، وإذا احتجوا بالأخبار فادفعوها بالتكذيب)[١٢٧]، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله: (وطريق أهل الضلال والبدع بالعكس يجعلون الألفاظ التي أحدثوها ومعانيها هي الأصل، ويجعلون ما قاله الله ورسوله تبعاً لها، فيردونها بالتأويل والتحريف إلى معانيهم، ويقولون تفسير القرآن بالعقل واللغة، يعنون أنهم يعتقدون معنى بلغتهم ورأيهم، ثم يتأولون القرآن عليه بما مكنهم من التفسيرات المتضمنة بتحريف الكلم عن مواضعه)[١٢٨] .

---

(١٢٦) الاعتصام للشاطبي (٢٤٥/١ – ٢٤٦).

(١٢٧) ابن القيم في الصواعق المرسلة (١٠٣٨/٣).

(١٢٨) الفتاوى لابن تيمية (٢٨٨/٧).

الخاتمة

وأختم هذا البحث ببيان أهم الأمور التي توصلت إليها:-

١. إن الجهل بالدين من أهم أسباب الغواية والضلال لأنه يحول بين صاحبه وبين الحق.
٢. إن الغلاة يفضلون آراءهم على آراء السلف الصالح.
٣. يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون وما كانوا عليه في العمل به.
٤. من الأصول المقررة المشتهرة عند السلف: عدم تكفير مرتكب المعصية مالم يستحلها.
٥. إن الغلاة والمتطرفين قد غلوا في حق الله تعالى وفي حق رسوله صلى الله عليه وسلم وفي حق ولاة الأمر، بل وفي حق الأمة بأكملها.
٦. إن معارضة الوحي بالعقل هو منهج إبليس وأتباعه من بعده.
٧. إن العقل ليس بدليل قطعي عند أهل السنة والجماعة.
٨. إن الغلاة والمتطرفين يخوضون في المسائل العقدية التي لا مجال للعقل فيها.
٩. يزعم بعض الغلاة والمتطرفين أن الخروج عن جماعتهم يُعد كفراً، وبذلك يقولون بجاهلية المجتمعات المسلمة.
١٠. إن الخروج والغلو لا يقع من راسخ في العلم.
١١. أهل الأهواء عامة في كل حين يدَّعون أنهم على الحق ويسمون أنفسهم بألقاب توهم بأنهم على الصراط المستقيم.
١٢. العلماء يفرقون بين الأوامر والنواهي وبين الواجب الموسع والواجب المضيق، ويفرقون بين درجة الوجوب ودرجة التحريم بخلاف الغلاة.
١٣. بعض الغلاة يستدلون بآيات أُنزلت في حق الكفار فيجعلونها على المؤمنين.
١٤. الغلاة يستدلون بالدليل في غير ما يدل عليه، ويبترون الأدلة حسبما توافق هواهم.
١٥. إن الهمج والرعاع وأتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح.
١٦. منهج الغلاة التعلق بظواهر النصوص حينما توافق أهواءهم دون ردها إلى النصوص الأخرى.
١٧. الغلاة إذا احتجوا بالقرآن والسنة لا يعتنون بتحرير دلالتهما.
١٨. الجهل باللغة العربية يؤدي إلى الجهل بألفاظ الشرع وأحكامه.
١٩. الغلاة يتميزون بالجهل وعدم التمييز بين قواعد الاستدلال.
٢٠. إن الغلاة والمتطرفين تميزوا واختصوا بأصل من أصول الضلالة والبدعة.
٢١. من أعظم أسباب الغلو والتطرف اتخاذ الرؤساء الجهال والأحداث والرجوع إليهم في أمور الدين.
٢٢. التلقي الأول للمتعلم والناشئ يترك أثراً كبيراً في النفسية فلذا لا بد من الحذر من مناهج بعض الدعوات التي تخالف نهج السلف الصالح.
٢٣. الغلاة يجعلون أرآءهم هي الأصل المعقول المحكم الذي يجب اعتقاده والبناء عليه.

٢٤. إن التأويل الباطل هو أخطر سلاح يستعمله الغلاة والمتطرفون في تقرير أصولهم.

٢٥. إن التأويل عند السلف الصالح يختلف عن التأويل عند أهل الأهواء والبدع.

٢٦. إن الغلاة يحرفون الكلام عن معناه وهذه صفة من صفات اليهود.

٢٧. إن الغلاة لا يفرقون بين المحكم والمتشابه والعام والخاص والناسخ والمنسوخ ... الخ.

٢٨. إن منهج الاستدلال عند الغلاة مركب من أخطاء متعددة.

المصادر والمراجع

١. الإبانة الكبرى – ابن بطة العكبري الحنبلي – تحقيق الدكتور : فوقيه حسن - دار الأنصار – القاهرة.

٢. ابن تيمية السلفي- محمد خليل هراس- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

٣. الإحكام في أصول الأحكام – الأمدي – تعليق الشيخ : عبد الرزاق عفيفي – ١٣٨٧هـ.

٤. الاستقامة- أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية- تحقيق: الدكتور محمد بن رشاد سالم- ط ١- ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٥. أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة- هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي- تحقيق: أحمد سعد حمدان- دار طيبة- الرياض- المملكة العربية السعودية- ط ١.

٦. الاعتصام- أبو اسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي- دار المعرفة- بيروت.

٧. إعلام الموقعين عن رب العالمين- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية- مراجعة وتقديم: طه عبد الرؤوف سعد- مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة- مصر- ١٣٨٨هـ.

٨. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان – ابن القيم – تحقيق : مجدي فتحي السيد – دار الحديث – القاهرة.

٩. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم- تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية- تحقيق: الدكتور ناصر عبد الكريم العقل- ط١- ١٤٠٤هـ.

١٠. الإيمان- تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية- المكتب الإسلامي- دمشق- بيروت.

١١. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام- الإمام شمس الدين محمد أحمد الذهبي- تحقيق الدكتور: عبد السلام تدمري- دار الكتاب- ط١- ١٤٠٩هـ.

١٢. تفسير سورة الإخلاص – ابن تيمية – تحقيق الدكتور : عبد العلي عبد الحميد حامد – الدار السلفية – الهند.

١٣. تفسير القرآن الكريم- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي- دار الأندلس- بيروت.

١٤. التفسير الكبير- الفخر الرازي- دار الكتب العلمية- طهران- إيران.

١٥. جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله- أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي- إدارة الطباعة المنيرية- لبنان.

١٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري- مطبعة مصطفى البابي الحلبي- ط٢.

١٧. الجامع لأحكام القرآن- أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي- درا الكتاب العربي.

١٨. الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو- محمد سرور بن نايف زين العابدين- دار الأرقم- برمنجهام- بريطانيا.

١٩. درء تعارض العقل والنقل- تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية- تحقيق: محمد رشاد سالم- دار الكنوز.

٢٠. دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها- الدكتور: ناصر بن عبد الكريم العقل- دار إشبيليا- الرياض.
٢١. ذكرياتي مع جماعة المسلمين — عبد الرحمن أبو الخير — القاهرة.
٢٢. سنن أبي عبد الله محمد ابن ماجه — تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي — دار إحياء التراث العربي.
٢٣. شبهات حول الفكر الإسلامي المعاصر- المستشار سالم البهنساوي- دار الوفاء للطباعة والنشر- المنصورة- القاهرة.
٢٤. شرح أصول أهل السنة والجماعة — أبو القاسم هبة الله بن الحسين الطبري اللالكائي — تحقيق الدكتور: أحمد سعد حمدان — دار طيبة — الرياض.
٢٥. شرح حديث النزول- تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية- المكتب الإسلامي- ط٤- ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.
٢٦. شرح السنة- أبو محمد بن الحسن بن خلف البربهاري- تحقيق:الدكتور محمد بن سالم القحطاني- دار ابن القيم- ط١- ١٤٠٨هـ
٢٧. شرح صحيح مسلم- يحيى بن شرف النووي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان- ط٢- ١٣٩٢هـ.
٢٨. شرح العقيدة الطحاوية- أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي- تحقيق: الدكتور عبد المحسن التركي وشعيب الأنؤوط- مؤسسة الرسالة- بيروت.
٢٩. شرح القصيدة النونية- ابن قيم الجوزية- شرح: الدكتور محمد خليل هراس- دار الفاروق- مصر.
٣٠. الشرح والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة- الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي- تحقيق: رضا بن نعسان معطي- دار التوفيق- مصر.
٣١. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل — ابن القيم — تخريج وتعليق : مصطفى أبو النصر الشلبي — مكتبة السوادي — جدة.
٣٢. الشريعة- أبو بكر محمد بن الحسين الآجري- تحقيق: محمد حامد الفقي- دار الكتب العلمية- بيروت.
٣٣. الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي- الدكتور: يوسف عبد الله القرضاوي- دار الصحوة- القاهرة- مصر- ط١- ١٤٠٨هـ.
٣٤. الصفدية- تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية- تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم- مكتبة ابن تيمية- القاهرة.
٣٥. صون المنطق- جلال الدين السيوطي- تعليق: علي سامي النشار.
٣٦. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية- تحقيق: الدكتور على بن محمد الدخيل الله - دار العاصمة- الرياض- المملكة العربية السعودية ط١- ١٤٠٨هـ.
٣٧. ظاهرة التكفير — شبهات وردود — عبد الفتاح شاهين — دار الإسراء.
٣٨. ظاهرة الغلو والتكفير- الدكتور: يوسف عبد الله القرضاوي- مكتبة المنار الإسلامية-الكويت- ط٢- ١٤٠٥هـ.

٣٩. عقائد الثلاث والسبعين فرقة- أبو محمد اليمني- تحقيق: محمد بن عبد الله الغامدي- مكتبة العلوم والحكم- المملكة العربية السعودية- ط١- ١٤١٤هـ.
٤٠. عقود الجمان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان – محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي – مكتبة الإيمان – المدينة المنورة.
٤١. عقيدة السلف أصحاب الحديث- أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني- تحقيق: الدكتوربدر عبد الله البدر- مكتبة الغرباء الأثرية- المملكة العربية السعودية- ط٢- ١٩٩٤م.
٤٢. الفتاوى المصرية- تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية- تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط١- ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٤٣. الفوائد- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية- مكتبة النهضة العلمية السعودية.
٤٤. متشابه القرآن – القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي – تحقيق الدكتور : عدنان محمد زرزور – دار التراث – القاهرة.
٤٥. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية- تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية- جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم- مكتبة المعارف- الرياض.
٤٦. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم- تحقيق:دار الفكر للطباعة- بيروت.
٤٧. المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية- الدكتور إبراهيم محمد البريكان- دار السنة- الخبر- ط٢- ١٤١٤هـ.
٤٨. المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية – الإمام: محمد بن عبد الوهاب – تحقيق : يوسف بن محمد السعيد – دار المؤيد.
٤٩. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة – تحقيق : عبد الإله بن سليمان بن سالم الأحمدي – دار طيبة – الرياض.
٥٠. مسند الإمام أحمد بهامشة – منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال – المكتب الإسلامي .
٥١. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة- شمس الدين أبو عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن القيم- تحقيق: حسان عبد المنان الطيبي وعصام فارس الجرستاني- دار الجيل.بيروت- ط١- ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٥٢. مقدمة ابن خلدون – عبد الرحمن بن محمد بن خلدون – طبعة الشعب.
٥٣. الملل والنحل- محمد بن عبد الكريم الشهرستاني- دار المعرفة- بيروت.
٥٤. مناقب أبي حنيفة- الإمام: حافظ الدين الكردي- دار الكتاب العربي.
٥٥. المنصف في علم الأصول – أبو حامد الغزالي – الطبعة الأميرية.

٥٦. منهاج السنة النبوية- تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية-تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥٧. منهج دراسات لآيات الأسماء والصفات – محمد الأمين الشنقيطي – الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة.

٥٨. الموافقات في أصول الشريعة- أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي- تحقيق: الشيخ عبد الله دراز- المكتبة التجارية الكبرى- مصر- ط٢- ١٣٩٥هـ.

٥٩. النبوات – ابن تيمية – المطبعة السلفية – القاهرة .

٦٠. نقض التأسيس – ابن تيمية – مخطوط – جامعة الملك سعود – الرياض – رقم ٢٥٩٠.

فهرس الآيات

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ)	الأحزاب	٣٦	٤
(وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)	الأحزاب	٧١	١٤
(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء)	فاطر	٢٨	١١
(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ)	يس	٦٠	٢٧
(وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ)	الحجرات	٧	١٤
(وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا)	الحجرات	٩	١٢
(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى)	النجم	١-٢	١٠
(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى)	النجم	٣-٤	١٠
(إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا)	النجم	٢٣	١٠ — ١١
(إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ)	النجم	٢٣	١٠ — ١١
(الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ)	النجم	٣٢	١٢
(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ)	الجمعة	٢	١٧
(وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ)	الجمعة	٣	١٦ — ١٧
(وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)	الجن	٢٣	١٤

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الموضوعات